أولئك مَن سطّروا للعلا ... أجل الصفات وأغلى السِّيَرْ
رسول أبيٌّ كريم الطباع ... وأصحابه حوله كالدرر
تنام المعالي على طرفه ... وتصحو على صوته في السحر

❑ أين هم وأين زمانهم؟:

أين الألى رفعوا ذرا ... ك فطاولتْ أفق السحابِ
قد كان طائر أنسها ... يشدو ويصدحُ في الروابي
والحق منتشر الظلا ... ل على السهول على الشعاب
وقوافل الإيمان تطوى ... دونها بُسُط الرِّحابِ

ويكون النصر العاقبة التي تُصدّق ظن المؤمنين بربهم، وضلال المنافقين والمرجفين.

وانتهت المعركة إلى نهايتها، وزمامها في يد اللَّه، تقريراً للحقيقة وتثبيتًا لها في القلوب.

* قال تعالى: ﴿ **وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا** ﴾ [الأحزاب: ٢٥].

ونصر اللَّه المؤمنين بالريح. ما اطمأنت للأحزاب قدر، وما قامت لهم نار، وما استمسك لهم بناء، وهلك الكراع والخف[1].

ولم تدر الدائرة على قريش وغطفان وحدهم، بل كذلك على يهود بني قريظة حلفاء المشركين.

* قال تعالى: ﴿ **وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ**

(١) يعني: الخيل والجمال.

وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٦ ـ ٢٧].

*السلطان ألب أرسلان وجيش الأكفان ونصر في «ملاذكرد» لا ينسى مدى الأزمان:

قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٢/ ١٠٧ ـ ١٠٨) في أحداث سنة ٤٦٣هـ: «وفيها أقبل ملك الروم أرمانوس في جحافل أمثال الجبال من الروم والكرج والفرنج، وعدد عظيم وعُدَد، ومعه خمسة وثلاثون ألفًا من البطارقة، مع كل بطريق ما بين ألفَيْ فارسٍ إلى خمسمائة فارس، ومعه من الفرنج خمسة وثلاثون ألفًا، ومن الغز الذين يكونون وراء القسطنطينية خمسة عشر ألفًا، ومعه مائة ألف نقاب وحفّار، ومعه أربعمائة عجلة تحمل النعال والمسامير، وألفا عجلة تحمل السلاح والسّروج والعرادات والمجانيق، منها منجنيق يُمِدُّه ألف ومائتا رجل، ومن عَزْمه ـ قبّحه اللَّه ـ أن يبيد الإسلام وأهله، وقد أقطع بطارقته البلاد حتى بغداد، واستوصى نائبها بالخليفة خيرًا، فقال له: ارفق بذلك الشيخ، فإنه صاحبنا، ثم إذا استوثقتْ ممالك العراق وخراسان لهم، مالوا على الشام وأهله ميلة واحدة، فاستعادوه من أيدي المسلمين، والقدر يقول: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢]. فالتقاه السلطان ألب أرسلان في جيشه وهم قريب من عشرين ألفًا، بمكان يقال له: الرهوة، في يوم الأربعاء لخمسٍ بقين من ذي القعدة، وخاف السلطان من كثرة جند الروم».

يقول ابن النحاس: «خرج ملك الروم من القسطنطينية في ستمائة ألف، خارجًا عن المطوِّعة، فكانوا لا يدركهم الطَّرْف ولا يحصرهم العدد، بل كتائب متواصلة وعساكر متزاحمة، وكراديس يتلو بعضها بعضًا كالجبال الشوامخ، وقد أعدوا من السلاح والكراع والآلات لفتح الحصون ما يعجز الوصف عنها، واقتسموا الدنيا، فجعلوا لكل مائة ألف قطرًا، العجم والعراق للملك، وديار مضر وربيعة للملك، ومصر والمغرب للملك، والحجاز واليمن للملك، والهند والصين للملك، والروم للملك، فاضطربت ممالك الإسلام، واشتد وجلهم، وكثر جزعهم، وهرب بعضهم من أيديهم، وكان السلطان ألب أرسلان التركي ـ سلطان العراق والعجم يومئذ ـ قد جمع وجوه مملكته، وقال: «قد علمتم ما نزل بالمسلمين، فما رأيكم؟ قالوا: رأينا لرأيك تبع، وهذه الجموع لا قِبل لأحد بها. قال: وأين المفرّ، لم يبق إلا الموت، فموتوا كرامًا أحسن. قالوا: أما إذا سمحْتَ بنفسك، فنفوسنا لك الفداء، فعزموا على ملاقاتهم، وقال: نلقاهم في أول بلادي، فخرج في عشرين ألفًا من الأمجاد الشجعان المُنتخبين، فلما سار مرحلة، عرض عسكره، فوجدهم خمسة عشر ألفًا، ورجعت خمسة، فلما سار مرحلة ثانية، عرض عسكره، فإذا هم اثنا عشر ألفًا، فلما واجههم عند الصباح، رأى ما أذهل العقول وحيّر الألباب، وكان المسلمون كالشامة البيضاء في الثور الأسود»[1].

(١) «مشارع الأشواق إلى مصارع العشّاق» لابن النحاس (١/ ٥٥١ ـ ٥٥٢) ـ طبع دار البشائر.

✍ «ولما اصطدم الجبلان، طلب السلطان الهدنة، قال أرمانوس: لا هُدنة إلا ببذل الريّ. فحمي السلطان، وشاط فقال إمامه[١]: إنك تقاتل عن دين وعد اللَّه بنصره، ولعلّ هذا الفتح باسمك، فالْقَهم وقت الزوال ـ وكان يوم جمعة ـ قال: فإنه يكون الخطباء على المنابر، وإنهم يدعون للمجاهدين. فصلّوا، وبكى السلطان، ودعا وأمَّنوا، وسجد، وعفّر وجهه، وقال: «يا أمراء من شاء فلينصرف، فما ها هنا سلطان. وعقد ذنب حصانه بيده، ولبس البياض وتحنّط»[٢].

وقال: «ليودِّع كل واحد صاحبه، وليُوصِ. ففعلوا ذلك، فقال: إني عازم على أن أحمل فاحملوا معي».

✍ تواقف الفريقان وتواجه الفتيان، نزل السلطان عن فرسه وسجد للَّه عز وجل، ومرّغ وجهه في التراب، ودعا اللَّه واستنصره، فأنزل نصره على المسلمين ومنحهم أكتافهم، فقتلوا منهم خلقًا كثيرًا وأسِر ملكهم أرمانوس».

❑ قال ابن النحاس: «وجلس ألب أرسلان على كرسي الملك في سرادقه على فراشه، وأكل من طعامه، ولبس من ثيابه، وأحضر الملك بين يديه، وفي عنقه حبل، فقال: ما كنت صانعًا لو ظفرت بي؟ قال: أوَ تشك أنت في قتلك حينئذ؟ قال ألب أرسلان: وأنت أقلّ في عيني من أن أقتلك. اذهبوا فبيعوه، فطافوا به على جميع العسكر، والحبل في

---

(١) هو الفقيه أبو نصر محمد بن عبد الملك البخاري.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٤١٤ ـ ٤١٦).

(٣) «مشارع الأشواق» (١/ ٥٥١ ـ ٥٥٣).

عنقه، يُنادى عليه بالدراهم والفلوس، فما يشتريه أحد، حتى انتهوا في آخر العسكر إلى رجل فقال: إن بعتُمونيه بهذا الكلب أشتريه، فأخذوه وأخذوا الكلب، وأتوْا بهما إلى ألب أرسلان، وأخبروه بما صنعوا به، وبما دُفع فيه، فقال: الكلب خير منه؛ لأنه ينفع، وهذا لا ينفع، خذوا الكلب وادفعوا له هذا الكلب ـ يعني: الملك ـ ثم إنه بعد ذلك أمر بإطلاقه وأن يُجعل الكلب قرينه مربوطًا في عنقه، ووكّل به من يُوصله إلى بلاده، فلما وصل عزلوه وكحلوه»[1].

✍ وفي «البداية والنهاية» (١٢/ ١٠٨): «لما أُوقف[2] بين يدي الملك ألب أرسلان، ضربه بيده ثلاثة مقارع، وقال: لو كنتُ أنا الأسير بين يديك، ما كنت تفعل؟ قال: كل قبيح. قال: فما ظنك بي؟ قال: إما أن تقتل وتشهِّرني في بلادك، وإما أن تعفو وتأخذ الفداء وتُعيدني. قال: ما عزمتُ على غير العفو والفداء، فافتدى نفسه منه بألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار[3]، فقام بين يدي الملك، وسقاه شربة من ماء، وقبّل الأرض بين يديه، وقبّل الأرض إلى جهة الخليفة إجلالاً وإكرامًا، وأطلق له الملك عشرة آلاف دينار ليتجهز بها، وأطلق معه جماعة من البطارقة، وشيّعه فرسخًا، وأرسل معه جيشًا يحفظونه إلى بلاده، ومعهم راية مكتوب عليها: لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه».

* وحقيقة أخرى: قوة الإسلام عند الشدائد:

إن عنصر القوة كامن في الإسلام، كامن في استعلائه بأهله على

(١) «مشارع الأشواق» (١/ ٥٥٣). كحلوه، أي: سملوا عينيه.

(٢) أي: الملك أرمانوس.

(٣) في «السير» (١٨/ ٤١٦): «وإطلاق كل أسير في بلاده».

الضعف، ومن ثم لا تقع الهزيمة طالما عمّر الإسلام القلب والضمير، وإن وقعت الهزيمة الظاهرية في بعض الأحايين.

للَّه درها من أمة هي الأمة الإسلامية بما تدخّر من طاقات روحية لا تبرز إلا في الأهوال والمحن.

تراها أصلب ما تكون عودًا، وأعظم ما تكون صمودًا، وأصلب ما تكون قوة، وأقدر ما تكون على الصمود، تقاوم فتصمد، بل تغالب فتغلب، وإذا الضعف الظاهر قد استحال إلى قوة تصنع الأعاجيب.. يرتفع صوتها عند النوائب دائمًا.

لا تهيئ كفني يا عاذلي ... فأنا لي مع الفجر مواثيق وعهد

❑ قوة الأمة عند الشدائد تبدو واضحة بضرب المثال:

✍ في بدر وما أدراك ما بدر.. ظن شيطان الإنس وفرعون هذه الأمة أنه سيأتي بالنبي ﷺ وأصحابه مقرنين في الحبال.. فإذا بشباب الإسلام يذهب برأسه إلى أمه الهاوية.

❑ وفي حروب الردة:

ارتدت الجزيرة العربية كلها عدا المدينة، ومكة والطائف، وظهر مسيلمة والأسود العنسي وطليحة الأسدي وسجاح من أدعياء النبوة، وأحاطت جيوش المرتدين بالمدينة وهددت أهلها، وقال بعض الصحابة لأبي بكر: يا خليفة رسول اللَّه، لا طاقة لك بحرب العرب جميعًا، الزم بيتك، وأغلق بابك، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين، ولقد اختار القدر الصدّيق البكاء الرحيم ليواجه جلائل الأمور وعظائم المستقبل.

❑ قال ابن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ عن يوم الردة: «لقد قمنا بعد

رسول اللَّه ﷺ مقامًا كدنا نهلك فيه، لولا أن من اللَّه علينا بأبي بكر».

لقد لاقى الصديق حين ارتد العرب ما تضعضع له الجبال الرواسي. . للَّه دره وهو يجهز جيش أسامة ويبعثه، والعرب من كل حدب وصوب تكاد تفتك بأهل المدينة. . للَّه دره وهو يقول: «واللَّه لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه إلى رسول اللَّه ﷺ، لحاربتهم على منعه» وبعدها قال الفاروق ـ رضي اللَّه عنه ـ: «لو أطاعنا أبو بكر لكفرنا».

✍ إن اللَّه أعز الإسلام برجلين لا ثالث لهما: أبو بكر يوم الردة، وأحمد بن حنبل يوم المحنة. فللَّه من خلقه رجال تتحول المحن بين أيديهم إلى منح، والكوارث إلى ربيع تملؤه الحياة!! وأبو بكر سيد هؤلاء الرجال.

فخلال هذه المحنة الصاهرة التي ألمّت بالإسلام، تكشَّفت كل جوانب الضعف في البناء البشري للإسلام، وهبّ الرجل الحكيم القويّ!! من فوره، فرأب الصدع. . وكانت حظوظ الإسلام وافية، ومقاديره سعيدة، إذ جاءته هذه المحنة وأبو بكر حامل الراية وقائد الأمة. . وبفضل من اللَّه ورحمة، تفوّق الرجل الكبير، والخليفة المؤمن، على أخطار كانت حَرِيّة بأن تُداعي بناء إمبراطورية شامخة راسية، فما البال بدين ناشئ غض جديد؟!

وكانت تلك الأيام المُزلزِلة أعظم أيام الإسلام بعد رسول اللَّه ﷺ وأخصبها وأكثرها بركة عليه، وخيرًا لمصيره. . لقد تمزّق المرتدون

بددًا كبقايا زوبعة ضالة، وولّوا أمام الحق نائحين، وصار حالهم مثلما قال أحد نصارى العرب بعد ذلك:

ألا فاسقياني قبْل خَيْل أبي بكر ... لعل منايانا قريب ولا ندري

«خيل أبي بكر»؟!! لقد صارت هذه العبارة كقعقعة الهول في أسماع الذين أرادوا أن يُخضعوا الحق للباطل»[1].

كيف استطاع في أقلّ من سنتين أن يُدمر جيوش المرتدين، بعد أن كانت محاصرة للمدينة، وقد نهاه كبار الصحابة قبلها عن حربهم، فكيف يقوم في وجه العرب كلهم، وبعد هذا لم يمت إلا وجيوشه تحاصر أعظم إمبراطوريتيْن في ذلك الوقت، وتُنزل بها أفظع الهزائم.. كيف استطاع أن يُنجز ما ظنه الناس خيالاً لا يُنْجَز.. إنه الإسلام العظيم المتجسد في شخص الصدّيق العظيم.

* الحروب الصليبية واسترداد القدس على يد صلاح الدين:

أتى الصليبيون إلى الشرق.. واحتلوا أكثر مدن الشام يقودهم ملوك الغرب ورهبانه والقساوسة بقضهم وقضيضهم، وثالوثهم وصليبهم، وعاثوا في بلاد المسلمين فسادًا، وقتلوا النساء والرضع واستباحوا الحرمات.

وكم من مسجد جعلوه ديرا ... على محرابه رُسم الصليبُ

دم الخنزير فيهم لهم خلوفٌ ... وتحريق المصاحف فيه طيبُ

(١) «خلفاء الرسول» لخالد محمد خالد ص(٧٨ ـ ٨٠) طبع دار الجيل.

وسقطت القدس في أيديهم، وغاص القائد ريموند في دماء المسلمين إلى ركبتيه، ورفعوا الصليب على قبة الصخرة، واتخذوا من المحراب مشتى لخيولهم وخنازيرهم، وغطت جثث المسلمين ساحات المسجد الأقصى ومدينة القدس.. قتلوا ما يقرب من تسعين ألفًا.. ومن سلّموا لهم غدورا بهم.. بل وأكلوا لحوم المسلمين بعد شيّها بمجرد موتها وهذا ثابت تاريخيًا.. فعلوا من الجرائم ما لا يخطر على بال أحد وما تشيب لذكره الولدان وتقشعر له الأبدان.. كل هذا بسبب خيانة الفاطميين وانتشار الفكر الباطني والبدع، والخلافات بين الحكام الذين ما كان لهم همّ إلا الرئاسة وشهوة السلطان حتى ولو على حساب دين اللَّه.. فكان ما كان واستمر حكمهم لديار الشام أكثر من مائتي عام.. وأقاموا الإمارات والممالك الصليبية حتى ظن الناس أن هذا الظلام الصليبي ليس له آخر، حتى أنه في سنة ٥٢٣ حاول الإسماعيلية تسليم مدينة دمشق للصليبيين، مقابل أن يسلمهم الصليبيون مدينة صور.. وبلغ الهوان والضعف بالمسلمين كل مبلغ.

وفي وسط هذا الظلام الدامس واليأس الذي يقتات كل أمل.. قيّض اللَّه عماد الدين الأتابك زنكي فجابه الفرنجة ودوّخهم، فأخذ منهم حصن «الأثارب» الذي يقع بين حلب وأنطاكية، وذلك لشدة ضرره على المسلمين، وكان النصر للمسلمين، وهي أول وقعة لعماد الدين مع الصليبيين، ومن هنا استدار الزمان، وقوي المسلمون بتلك الأعمال، وضعفت قوى الكافرين، وعلموا أن البلاد جاءها ما لم يكن بالحسبان وصار قُصاراهم حفظ ما في أيديهم بعد أن كانوا

قد طمعوا في ملك الجميع.

وفي سنة ٥٣٤ هـ سار زنكي إلى بلاد الفرنج وأغار عليها، واجتمع ملوك الفرنج وساروا إليه ونصره اللَّه عليهم.. ثم بعد ذلك تسلّم حصن بارين بالأمان، واستراح المسلمون ما بين حلب وحماة من شرِّهم، فقد كان حصن بارين من أضر بلاد الفرنج على المسلمين، فإن أهله كانوا أخربوا ما بين حماة وحلب من البلاد ونهبوها، وانقطعت السبل، فأزال اللَّه بهذا الملك المجاهد هذا الضرر العظيم.

ثم توّج انتصاراته على الفرنج بفتح الرها أشرف المدن عند النصارى في جمادى الآخرة سنة ٥٣٩ هـ، فاستباحها، ونكّس صلبانها، وأباد قُسوسها ورهبانها، وقتل شجعانها وفرسانها، وعادت المدينة إلى حكم الإسلام، وكان فتحًا عظيمًا، طار في الآفاق ذكره، وطاب بها نشره وعادت الثقة إلى نفوس المسلمين، ولكن التجديد الجهادي كان على يد ابنه نور الدين ومن بعده صلاح الدين.

كسر نور الدين الفرنج مرات، ودوّخهم وأذلهم.

❑ قال أبو شامة عن نور الدين: «أطربني ما رأيت من آثاره، وسمعت من أخباره مع تأخر زمانه، ثم وقفت بعد ذلك على سيرة سيد الملوك بعده الملك الناصر صلاح الدين، فوجدتهما في المتأخرين كالعُمريْن - رضي اللَّه عنهما - في المتقدمين، فللَّه درهما من ملكين تعاقبًا على حسن السيرة وجميل السريرة، والفضل للمتقدم - نور الدين - فإنه أصل ذلك الخير كله، مهد الأمور بعدله وجهاده وهيبته في جميع بلاده، ولكن صلاح الدين أكثر جهادًا وأعم بلاءًا، صبر وصابر، وذخر

اللَّه له من الفتوح أنفسه، وهو الذي فتح الأرض المقدسة»[١] .

وكان لنور الدين النصر العظيم في وقعة حارم سنة ٥٥٩ هـ فقُتل من الفرنج في معركة واحدة عشرون ألفًا، وأُسر من نجا، وكان من بينهم جميع ملوكهم، وكان منحًا عظيمًا وفتحًا مبينًا بعد أن جاء الفرنج بحدّهم وحديدهم وملوكهم وفرسانهم ثم إن الفرنج أرسلوا إلى نور الدين في المهادنة فلم يجبهم إليها.

✍ انتصر نور الدين بتقواه وإسلامه في حارم... «لما التقى الجمعان أو قُبيله، انفرد تحت تل حارم، وسجد لربه عز وجل، ومرّغ وجهه وتضرّع وقال: يا رب هؤلاء عبيدك، وهم أولياؤك، وهؤلاء عبيدك، وهم أعداؤك، فانصر أولياءك على أعدائك، أيش فضل محمود في الوسط... ووحّد نور الدين مصر والشام سنة ٥٦٤هـ وكان إرجاع مصر إلى السنة وطَرْدُ الفاطميين على يديه ويد عامله صلاح الدين.

✍ وتسير بكلمات ابن زنكي الركبان على مدار الأيام: «إني لأستحيي من اللَّه أن يراني مبتسمًا والمسلمون محاصرون بالفرنج»[٢] .

وأمر بصنع منبر يكون معه عند فتحه للقدس ولكن عاجلته المنية، ويثيبه اللَّه على شرف النيّة وحسن الطوية.

كم قيصر للروم رُمت بَقْسرِه ... إرواء بيض الهند من تامُوره
أُوتيت فتح حصونه وملكتَ عقـ ... ـر بلاده وسبيْت أهل قصوره
أوَ ما وعدت القدس أنك منجزٌ ... ميعاده في فتحه وظهوره

(١) «الروضتين في أخبار الدولتين» (١/ ٤).
(٢) «عيون الروضتين» (١/ ٢٩٨ ـ ٢٩٩).

فمتى تجير القدس من دَنَسِ العِدَا وتُقدَّسُ الرحمن في تطهيره

ثم قيض اللَّه من بعده نائبه وتلميذه البطل المسلم الكردي صلاح الدين ـ السلطان العظيم الذي يحمل جبلاً في فكره.. ويا لطيب أيامه.

ذكرتُ فيها صلاح الدين غُرّتُه بيضاء كالصبح تأبى ذلّة فينا
فيها التقى والنَّقا يا حُسنَ طلعته وكفّه قد بنت أمجاد ماضينا
وسيفه عاف غمداً لا يعودُ له يخوض للَّه والإسلام حطينا[1]

وكانت حطين مجزرة للصليبيين سنة ٥٨٣هـ منحه اللَّه أكتاف الفرنج عباد الطاغوت وضلال الناسوت، فقُتل منهم ثلاثون ألفًا، وأسِر ثلاثون ألفًا من شجعانهم وفرسانهم، وكان في جملة من أُسر جميع ملوكهم، واستلبهم صلاح الدين صليب الصلبوت، ولم يُسمع بمثل هذا اليوم في عز الإسلام وأهله، ودفع الباطل وحزبه، حتى ذُكِر أن بعض الفلاحين رآه بعضهم يقود نيّفًا وثلاثين أسيرًا من الفرنج، وقد ربطهم بطنب خيمة، وباع بعضهم أسيرًا بنعل ليلبسها في رجله، وجرت أمور لم يسمع بمثلها إلا في زمن الصحابة والتابعين كما قال الحافظ ابن كثير[2].

ولقد فتح صلاح الدين بعد كسرة حطين، وقبل فتح بيت المقدس أكثر من خمسين بلدة ومدينة، وفتح عكا وصلى فيها الجمعة بعد غياب اثنتين وسبعين سنة. ورفع المسلمون رءوسهم، وعرفوا نفوسهم.

ثم كان فتح بيت المقدس سنة ٥٨٣هـ، وتطّهر بيت المقدس مما كان فيه من الصلبان، والنواقيس والقساقس والرهبان، ورجع إلى أهل

(١) من قصيدة «ذكريات المجد والعار في أرض الأبرار» ليوسف العظم.
(٢) «البداية والنهاية» (١٢/ ٣٤٢).

الإيمان، وأذّن فيه المؤذنون وخرس القسيسون، وزال البؤس، وطابت النفوس بعد غياب الأقصى واحدًا وتسعين عامًا.

هذي الفتوحُ فتوح الأنبياء وما ... لها سوى الشكر بالأفعال أثمان
تسعون عامًا بلاد اللّه تصرخ والإ ... سلام نُصّاره صم وعميان
فالآن لبى صلاح الدين دعوتهم ... بأمر من هو للمعوان معوانُ
في نصف شهرٍ غدا للشرك مُصْطَلِمًا ... فطُهِّرَت منه أقطارٌ وبلدانُ

لن تخمد جذوة الإسلام أبدًا، وحين تظن الدنيا نهاية المسلمين يقف المسلم في أحلك اللحظات قائلاً: ها أنذا إني لم أمت.. الإسلام باقٍ ما بقيت دنيا الرحمن.

* في حروب التتار:

لقد فعل التتار بديار المسلمين ما لا يستطيع قلم أن يصفه.. دمروا دولة الخلافة، وقتلوا الخليفة رفسًا بعد وضعه في جوال، وقذفوا بالآف الكتب في نهر دجلة، وقتلوا من الرجال والنساء والأطفال الألوف المؤلفة، واجتاحوا ديار المسلمين سلبًا ونهبًا وهدمًا، ولم يقف أمام سيلهم الجارف الكاسح أحد حتى وصلوا إلى الشام. وما تصوّر الناس وما جال بخاطرهم أنه سيأتي يوم الخلاص من هؤلاء، وكأن القدر قد خبأ لهذه المهمة فارسًا مجاهدًا عظيمًا تكون له اليد البيضاء في جهاد التتار، وغسل هذا العار، ألا وهو السلطان المظفر قطز. الذي لما علم أن التتار عازمون على دخول ديار مصر بادرهم قبل أن يبادروه، وبرز إليهم ونازلهم في «عين جالوت» يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان سنة ٦٥٨هـ، فهزمهم المسلمون هزيمة هائلة، وقُتل أمير المغول «كتبغا» يُذكر عن قطز

أنه يوم عين جالـوت، لما أن رأى انكشافًا في المسلـمين، رمى عن رأسه الخوذة وحمل، ونزل النصر.

لما عُقر جواده، وهـو في القلب، ترجّل وبقـي واقفًا على الأرض ثابتًا، والقـتال دائر، ولامه بعض الأمراء، وقال يا خـوند: لم لا ركبت فرس فلان؟ فلو أن بـعض الأعداء رآك لقتلك وهلك الإسـلام بسببك، فقال: «أما أنا فكنت أروح إلى الجنـة، وأما الإسلام فله رب لا يضيّعه، قد قُتل فلان وفلان وفلان.. حتى عدّ خـلْقًا من الملوك ـ فأقام للإسلام من يحفظه غيرهم، ولم يضيّع الإسلام»[1].

وثأر قطز لدماء المسلمين وأعراضـهم، وهزموا التتار هزيمة لا تجبر، وسجد قطز لـلَّه شكرًا لما علم بقـتل كتبغا، وقال: أنام طـيبًا؛ كان هذا سعادة التتـار وبقتله ذهب سعدُهـم، وهكذا كان كما قال، ولم يـفلحوا بعده أبدًا.

ولن ينـسى التاريـخ مقالة قـطز ونشيـده المدوي في معـركة «عين جالوت»: «وا إسلاماه».

وعين جالوت هل أبصرت ساحتها ... وقُطْز يغرسـها غـارًا ونسـرينًا
لكننا في زمان القحط نحصده ... لما نسـيناه أشواكًا وغِسـلينا

* الإسلام هو الأقوى:

«لقد صمد الإسلام في حياته المديدة، لما هو أعنف وأقسى من هذه الضربات الوحشية، التي توجه اليوم إلى طلائع البعث الإسلامي في كل

(١) «البداية والنهاية» (١٣/ ٢٣٨).

مكـان. وكافح ـ وهو مـجرد من كـل قوة غيـر قوته الذاتـية ـ وانتـصر وبقي.. وهو مجرّد من السلاح.

المماليك الذين حـموا هذه البقعة من التتار، لم يـكونوا من جنس العرب، إنما كانوا من جنس التتار! ولكنهم صمدوا في وجه بني جنسهم المهاجمـين، حميّة للإسلام؛ لأنهم كـانوا مسلمين! صمدوا بـإيحاء من العقيدة الإسلامية، وبقيادة روحية إسـلامية من الإمام المسلم «ابن تيمية» الذي قاد التـعبئة الروحية، وقاتـل في مقدمة الصفـوف كان الإسلام في ضميـر صلاح الدين هو الـذي كافح الصليـبيين، كما كـان الإسلام في ضمير الظاهـر بيبرس، والمظفر قطز، والملك النـاصر.. هو الذي كافح التتار المتبربرين.

✍ والإسلام هو الـذي كافح في الجزائر مـئة وخمسين عـامًا، وهو الذي استبقى أروقة العـروبة فيها. حتى بعد أن تحطمت مقومـاتها الممثلة في اللغـة والثقافة، هنالك قـام الإسلام ـ وحده ـ في الضميـر، يكافح الغـزاة، ويسـتعـلي عـليهـم، ولا يحـني رأسـه لهـم؛ لأنهـم أعداؤه «الصلـيبيون»! وبهـذا ـ وحده ـ بقيت روح المـقاومة في الجزائـر، حتى أزكتها من جديد الحـركة الإسلامية التي قام بها عبد الحـميد بن باديس، فأضاءت شعـلتها من جديـد.. وهذه الحقيقة الـتي يحاول أن يطمـسها المغـفلون والمضـللون، يعـرفها الفـرنسيون والـصليبيـون جيدًا؛ لأنـهم «صليبيون».

✍ والإسلام هو الذي هبّ في السودان في ثورة المهدي الكبير على الاحتلال البريطاني للقسم الشمالي من الوادي «مصر» ثم القسم الجنوبي

«السودان» ومراجعة إعلانات «المهدي» الكبير، ورسائل «عثمان دقنة» لكتشنر وكرومر وتوفيق، تشهد بحيوية هذا الباعث الأصيل.

✍ والإسلام هو الذي كافح في برقة وطرابلس ضد الغزو الطلياني، وفي أربطة السنوسية وزواياها نمت بذرة المقاومة، ومنها انبثق جهاد عمر المختار الباسل النبيل»[١].

✍ الإسلام كان في ضمير عبد الكريم الخطابي وهو يواجه الصليبيين في المغرب إنه الإسلام العظيم الباقي الكامن في نفوس أبنائه حتى وإن حاول أعداء دين اللّه إبعادهم عن هذا الدين العظيم.

ونذكر هنا «حادثة طريفة جرت في فرنسا، وهي أن فرنسا من أجل القضاء على القرآن في نفوس شباب الجزائر قامت بتجربة عملية، قامت بانتقاء عشر فتيات مسلمات جزائريات، أدخلتهن الحكومة الفرنسية في المدارس الفرنسية، وألبستهن الثياب الفرنسية، فأصبحن كالفرنسيات تمامًا.

وبعد أحد عشر عامًا من الجهود هيأت لهن حفلة تخرّج رائعة، دعي إليها الوزراء والمفكرون والصحفيون.. ولما ابتدأت الحفلة، فوجئ الجميع بالفتيات الجزائريات يدخلن بلباسهن الإسلامي الجزائري.. فثارت ثائرة الصحف الفرنسية وتساءلت: ماذا فعلت فرنسا في الجزائر إذن بعد مرور مائة وثمانية وعشرين عامًا؟!! أجاب لاكوست، وزير المستعمرات الفرنسي: «وماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا»[٢].

---

(١) «المستقبل لهذا الدين» لسيد قطب ص(٩٠ ـ ٩١) باختصار.

(٢) «قادة الغرب يقولون» ص(٦٩) نقلاً عن جريدة الأيام عدد (٧٧٨٠).

* التاريخ الإسلامي بأنواره ولآلئه يعطي الأمل واليقين في الغد المشرق:

هذا التاريخ النيّر كل حادثة فيه تصيح ملء فيها: أمة هذا تاريخها لا لن تموت.

✍ أمة أخرجت الصديق ثاني اثنين، والفاروق الذي أوحدت به أمه، والذي يفرّ الشيطان منه، وعثمان ـ رضي اللّه عنه ـ الزاهد الأواب الرحيم والفتوح في عهده كالماء المنهمر، وعلي بن أبي طالب صاحب الراية في يوم خيبر، محارب المارقين من الخوارج، ومعاوية بن أبي سفيان خال المسلمين، وأعدل ملوكهم وأحلمهم، والوليد بن عبد الملك الذي فُتحت الفتوحات العظيمة في عهده كأيام عمر بن الخطاب، وعمر ابن عبد العزيز أشج بني أمية الخليفة الراشد الزاهد في الحطام الفاني.. وهارون الرشيد الخليفة المفترى عليه الذي يحج عامًا ويغزو عامًا سلوا عنه «نقفور» كلب الروم.

فرأيت هارون الرشيد ... يقول في عزّ الوفاق
لسحابة مرّت ولم ... تُمطر ولم تجر السواقي
أنّى هطلت فسوف يأ ... تيني الخراج إلى العراق

❑ والمعتصم فاتح عمورية:

رب «وامعتصماه» انطلقت ... ملء أفواه الصبايا اليُتَّمِ
صادفت أسماعنا لكنها ... لم تصادف نخوة المعتصم

✍ والخليفة المعتضد قاتل الأسد، والقادر باللّه المتهجد العالم،

وفاتح الهند أبو القاسم محمود بن سبكتكين، ومن قبله موسى بن نصير فاتح المغرب، ومولاه طارق فاتح الأندلس، وصقر قريش عبد الرحمن الداخل، وهشام بن عبد الرحمن الداخل شبيه عمر بن عبد العزيز في سيرته، وعبد الرحمن الناصر مؤدب ملوك النصارى، والحاجب المنصور وغزوه لشنت ياقب أعظم مدن النصارى سنة ٣٨٧هـ، ويوسف بن تاشفين أمير المؤمنين بطل موقعة «الزلاّقة».

✍ والسلطان يوسف بن عبد المؤمن يحفظ صحيح البخاري، ويدوّخ النصارى في معاركه، والسلطان العظيم يعقوب بن يوسف بطل معركة «الأرك» التي لم يُسمع في بلاد الأندلس بكسرة مثلها، فهي تضاهي «الزلاّقة» وبيبرس قاهر الصليبيين ومدمّر أنطاكية وغازي المغول في بلادهم.

✍ والملك أشرف خليل فاتح عكا سنة ٦٩٠هـ.

✍ والناصر محمد قلاوون وله في موقعة «شقحب» اليد البيضاء وبها انتهى أمر التتار إلى الأبد..

✍ ومظفر الحليم الكجراتي سلطان الهند مثل عظيم للملوك، والسلطان أورنك زيب عالمكير ملك الهند الزاهد العابد لا نظير له في علو الهمة وقوة الإرادة في ملوك العالم.

✍ والسلطان فتح علي خان «سلطان تيبو» يقول للإنجليز: «يوم من حياة الأسد خير من مائة سنة من حياة ابن آوى».

✍ ومن تركيا.. يلوح نور السلطان مراد فاتح جميع الأراضي البلغارية وبطل «قوصوه» ومؤدب أمراء البوسنة والهرسك.

✍ وبايزيد الصاعقة، ومحمد الفاتح فاتح القسطنطينية، والسلطان الغازي سليمان القانوني فاتح بلغراد سنة ٩٢٧هـ، وفاتح بلاد المجر، المحاصر لفيينا عاصمة النمسا.

✍ وسلطان الفلبين «لابو لابو» قاتل الصليبي «ماجلان» جزاء غطرسته.

✍ وملك المغرب العظيم «مولاي عبد الملك» يقود جيشه وهو محمول على محفّة في معركة «وادي المخازن» سنة ٩٨٦هـ.

✍ تاريخ الإسلام العظيم الذي عطّر الدنيا بشذا حمزة وخالد بن الوليد والمثنى بن حارثة، والسرماري شيخ البخاري وقاتل الألف تركي، ومسلمة بن عبد الملك، والجراح الحكمي قائد جيوش الأمويين ومؤدب الروم، وغيرهم وغيرهم من القمم خير شاهد على مستقبل هذه الأمة، وأن هذه الأمة ضاربة جذورها وأوتادها في الأرض لا تزول حتى تزول هذه الأرض.. وسواها من الأمم لا تدانيها لا تساويها.

كل أمجاد أمة ذكروها ... فهي من روح مجدنا ورقات
كلّما لاح في ذرى الغرب نجم ... حجبته شموسنا الساطعات[1]

* * *

(١) من قصيدة «سيرة الأبطال» للشيخ عائض القرني.

مبشرات
من السنن الإلهية

مبشرات من السنن الإلهيـــة

الأمور لا تمـضي في الـناس جزافًـا، والحياة لا تجـري في الأرض عبثًا، فهناك نواميس ثابتة تتحقق، لا تتبدل ولا تتحول. «وسنة اللَّه هي الطريقة المتبعة فـي معاملة اللَّه تعالى للبشر بناء علـى سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع اللَّه وأنبيائه وما يـترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة»[1].

* وسنة اللَّه مطردة عامة ثابـتة لا تتغير، قال تعالى: ﴿ **سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً** ﴾ [الأحزاب: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿ **فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً** ﴾ [فاطر: ٤٣].

* يقرر اللَّه هـذه الحقيقة، ويعلمـها للناس ﴿ **وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا** ﴾ [النساء: ٨٧]، ﴿ **وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً** ﴾ [النساء: ١٢٢] ـ كي لا ينظروا الأحداث فرادى، ولا يـعيشوا الحياة غافلين عن سننـها الأصيلة، محصورين في فترة قصيرة من الـزمان، وحيز محدود من المكان، ويرفع تصورهـم لارتباطات الحيـاة وسنن الوجود، فيوجـههم دائمًا إلـى ثبات السـنن واطراد النواميس ويوجـه أنظارهـم إلى مصداق هـذا فيمـا وقع للأجيال قبلهم، ودلالة ذلك الماضي على ثبات السنن واطراد النواميس.

ومعرفة سنن اللَّه جزء من معرفة الدين، أو معرفة لجزء من الدين، وهي معرفة ضرورية.

* قال تعالى: ﴿ **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً**

(١) «السنن الإلهية» للدكتور عبد الكريم زيدان ص(١٣) مؤسسة الرسالة.

﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

قال الألوسي ـ رحمه اللَّه ـ : «والمراد من كل شيء: ما يتعلق بأمور الدين، أي بيانًا بليغًا لكل شيء يتعلق بذلك، ومن جملته أحوال الأمم مع أنبيائهم»[1].

وهناك مبشرات من سنن اللَّه في الخلق تبشر بنهاية الغرب الكالح ووثنيته المادية، فهذه الحضارة المادية خبثت، ويأبى عدل اللَّه إلا أن تجتث.

* سنة التغيير:

وهذه سنة ثابتة نجدها في صف المسلمين ونعدّها من المبشرات، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الأنفال: ٥٣ ـ ٥٤].

لقد آتاهم اللَّه من نعمته، ورزقهم من فضله، ومكن لهم في الأرض فغيّرتهم النعمة والقوة وصاروا جبابرة وطواغيت كفرة فجرة، أنكروا وبطروا، انحرفت نواياهم وانحرفت خطاهم. واللَّه هو العدل يلازم بين عمل الأمم وجزائها، فهم أهل لأن يعمل اللَّه فيهم بسنته ويغيِّر ما بهم.

* قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

(١) «روح المعاني» للألوسي (١٤/ ٢١٤).

«فنعم اللَّـه تعالى على الأقوام والأمم منوطة ابـتداءً ودوامًا بأخلاق وصفات وعقائد وعوائد وأعمال تقتضيها، فما دامت هذه الأشياء لاصقة بأنفسهم متمكنة فيها كانت النعم ثابتة بثباتها حسب سنة اللَّه تعالى العامة في خلقـه، فإذا هم غيّروا ما بأنفـسهم من تلك العقـائد والأخلاق وما يترتب عـليها من محاسـن الأعمال غيّر اللَّه عـندئذ ما بأنفسـهم وسلب نعمته مـنهم فصار الغني فقيـرًا، والعزيز ذليلاً والقوي ضعـيفًا. هذا هو الأصل المطرد في الأقوام والأمم وهو كذلك في الأفراد»[1].

* وهذه النعم التي أغدقها اللَّه عـز وجل على الغرب هي فتنة لهم ﴿فَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٩ ـ ٥٠].

* وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٤ ـ ٩٥].

* قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾.

* سنة الله في المعرض عن هداه:

هدى اللَّه هو الإسـلام وهو الهدى الحق وكل ما عداه لـيس بهدى إنما هو هوى.

(١) «تفسير المنار» (١٠/ ٣٧).

* قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٢٠]. وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ [الفتح: ٢٨].

* والمعرض عن هذا للَّه سنة فيه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤].

* وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

* سنة الله في الترف والمترفين:

والترف: التنعم والتوسع في ملاذِّ الدنيا وبطر النعم والطغيان بسبب النعمة.

* وللَّه سنة لا تتغير في المترفين قال تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ١١ ـ ١٣].

❑ وللَّه سنة فيمن بطر نعمته أن يبتليه بالفقر وتخريب الديار.

* قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

* وقال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥٨].

✍ وما قوم سبأ من الناس ببعيد..

* قال تعالى عنهم: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٥: ١٧].

* وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾ [الإسراء: ١٦].

* سنة الله في الظالمين هلاكهم:

* قال تعالى: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٥]. ولا أظلم من الكافر. فكيف إذا جمع مع الكفر الظلم؟ وهلاك الأمم بظلمها سنة من سنن اللَّه، قال تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، وقوله تعالى: ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ [يونس: ١٣].

وكلمة «لما» ظرف يدل على وقوع فعل لوقوع غيره مما هو سبب له.

* وقال تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ﴾ [الأنبياء: ١١].

* وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن

دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٠ـ ١٠٢].

❑ قال ابن تيمية: «وأمور الناس إنما تستقيم في الدنيا مع العدل الذي قد يكون فيه الاشتراك في بعض أنواع الإثم أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق، وإن لم تشترك في إثم، ولهذا قيل: إن اللَّه ليقيم الدولة العادلة، وإن كانت كافرة، ولا يقيم الظالمة، وإن كانت مسلمة. ويقال: «الدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مع الظلم والإسلام»[١].

فكيف إذا جمع الغرب وروسيا الكفر مع الظلم؟!

* قال تعالى: ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [النمل: ٥٢].

❑ قال القرطبي: «إن الجور والظلم يخرّب البلاد بقتل أهلها، وانجلائهم منها، وترفع من الأرض البركة»[٢].

* من سنن الله «عقاب الظالم بتسليط ظالم عليه»:

* قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٩].

❑ قال القرطبي: «نسلّط بعض الظلمة على بعض فيهلكه ويذله. وهذا تهديد للظالم إن لم يمتنع من ظلمه سلّط اللَّه عليه ظالمًا آخر»[٣].

❑ قال الرازي: «الآية تدل على أن الرعية متى كانوا ظالمين فاللَّه تعالى يسلط عليهم ظالمًا مثلهم، فإن أرادوا أن يتخلصوا من ذلك الأمير

(١) «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» لابن تيمية ص(٤) تحقيق صلاح الدين المنجد.
(٢) «تفسير القرطبي» (٩/ ٣٣٤).
(٣) «تفسير القرطبي» (٧/ ٨٥).

الظالم فليتركوا الظلم»[١] .

وتاريخ الغرب الكافر والشرق الملحد مكتوب بدماء الأبرياء وآهات الثكالى والضعفاء وأنين الشيوخ. أذلوا الشعوب وبلغوا من الظلم والتكبر فوق ما يتصوره العقل.

انظر إلى ما حدث في محاكم التفتيش، وما فعلته الحروب الصليبية والصليبيون مع المسلمين، وما فعله هيلاسلاسي مع مسلمي الحبشة..

انظر ما فعلوه حتى مع من كانوا على ملتهم: «قلوب أقسى من الحجارة أصحابها لا يرجون للّه وقارا»

✍ كتب الصحفي المعروف «علي أمين» في كتابه «أفكار للبيع» تحت عنوان «أنصار الطغاة» ص(١٤١): في كتاب (ماذا يحدث للشيوعيين؟) الذي ألّفه الكاتب الروسي «ميشيل ياديف» إحصاء غريب عن عدد الذين أعدمهم ستالين من أنصاره بعد وفاة لينين.

✍ فقد أعدم ستالين جميع أعضاء أول مجلس إدارة للحزب اجتمع بعد وفاة لينين، وأجمع على انتخاب ستالين!!

✍ وأعدم كل وزراء لينين واتهمهم بالخيانة.

✍ وأعدم ٨٠ بالمائة من سكرتيري اتحادات العمال الذين اجتمعوا وباركوا انتخابه.

✍ وأعدم ١٥ عضواً من الـ ٢٧ الذين تألفت منهم اللجنة التي وضعت دستور ١٩٣٦.

✍ وأعدم ٤٣ سكرتيراً من الـ ٥٣ الذين يشرفون على تنظيمات الحزب الشيوعي.

✍ وأعدم ٧٠ من ٨٠ عضواً من أعضاء مجلس الدفاع السوفيتي.

---

(١) «تفسير الرازي» (١٣/ ١٩٤).

✍ وأعدم ثلاثة مارشالات من خمسة مارشالات في الجيش الأحمر.

✍ وأعدم ٩ وزراء من الـ ١١ وزيراً الذين كان يتألف منهم مجلس وزرائه عام ١٩٣٦.

✍ وأعدم ٦٠ بالمائة من قوّاد الجيش الأحمر، وثلاثين ألف موظف من موظفي الحكومة».

وهكذا أكل النظام الشيوعي الظالم نفسه بنفسه وذهبت روسيا إلى مزبلة التاريخ.

✍ إن كان هذا فعل الشيوعيين بالشيوعيين، فماذا فعلوا بالمسلمين المستضعفين؟ يكتب لينين في بعض رسائله إلى مسكيم جوركي: «إن قتل ثلاثة أرباع العالم يهون في سبيل أن يصبح الربع الباقي شيوعيًّا».

وانظر ماذا فعل أولئك الملاحدة الظلمة بأهل الشيشان، وما فعل الصرب الملاعين بمسلمات البوسنة، وما فعل الصليبيون بالمسلمين المستضعفين في كل مكان.

وبعد..

وبعد ما رأيت ما رأيت

وبعد ما عرفت ما عرفت

الموت حينما دنت مخالبه

والليل حينما اعتدى على الصباح ضاريًا يُغالبه

الموت كان أمنية

والموت كان للجراح أغنية..

واختار من صفوفنا..

أحبَّ من رأت عيوننا..

واختار من صفوفنا الكبار..

واختار من صفوفنا الرجال صانعي النهار..
واختار للذرى أحبة كرام
تحية لهم سلام
عيناي تسبحان في الشرود من يومها
من يوم أن تحرّك الفناء فوق كل أخضر
يا واحة الأمان أقفري
قد استبيحت الحُرَم
وسيقت النساء والأطفال للحُمم
ليطعموا لوحشة الظُّلَم
ليطفئوا ابتسامة الصغير
ليهتكوا قداسة الحرم
وضجّت الأصوات تستغيث ربَّها
في الليلة التي بكى الحصنُ من شهقة الدماء
وحُمِّلَت رياحها بألف آه..
الكون كله يقول آه..
ويا لذلة تراد بالجباه!
تكسري سنابل العطاء واسجدي
ومرِّغي تيجانك الشمّاء في الثرى
يا خضرة الزيتون..
فلترتدي السواد فوق كل عود أثمرا
ويا مدامع السحاب طوفي على الديار
وأودعي بكل شبر دمعة من السماء

وأكثري على المحارم البكاء. .أكثري البكاء. .
ويا شذا الريحان قبلها تفوح بالعبير
يا شذا الريحان أودُّ أن أذكِّرك. .
بأنهم لحظة من الظما تفقدوا ولم يكن هناك ماء. .
وأنك ارتويت يومها بأقدس الدماء. .
الحرّة الطَّهور
بالحرمة الطهور
تعذَّب الذبول في ملامح الزهور. .
الحرة التي تداس يا لهولها. .
عويلها. .
يحرِّك الصخور في جبالها
فيصرخ المَلَكْ. .
يهتزّ في انتظار ومضة لمن ملك
سألت خالقي وكلّنا سَألْ:
لمن لمن تركتنا؟
سألت خالقي إلى متى؟
ستطعم الذئاب ما وهبتنا؟
الهول يا لقسوته. .
محافلٌ تضمُّ ألف سوط. .
والموت قادمٌ. .يدوس فوق موت.
وبعد. .
وبعد ما رأيت ما رأيت. .

عرفتُ كيف يقهرُ الرجال بالضنى
وفي مواقعٍ من الأسى بكيتْ
تحرّك الشيطان حاملاً سلاحه
ومضمراً لكل بسمة للنور في صدورنا نواحه
وأطلق الدخان غاضبًا . .
واستجمع القوى . .
وبكل حقده الذي يضمّه هوى
رأيت . .
رأيت كبوة الجواد مضنية
رأيت دمعة الجسور مُبكية
وبعدما رأيت . . هل تعود للطريق؟ . . هل تعود؟!
وقبل أن أجيب
تحرّكت مدامعي هديّةً لمن مضى
وأرهفت مسامعي . .
لأستعيد من مواطن الغيوب . .
وصيةً سمعتها . . في لحظة من الرِّضى
واهتزَّ قلبي الذي قد هدّه العذاب
أحسست رعشة بجسمي الذي يخاف عضّة الذئاب
وجاء ضعفي الكئيب جاء . .
عرفته في كل لحظة من الضَّنى قد عشتها
أتى يقدِّم الرجاء . .

* * *

* سنة الله في الكفار واحدة...عاقبة الكفر واحدة:

﴿أكفاركم خير من أولئكم؟﴾

❑ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهو سبحانه وتعالى كما يفرّق بين الأمور المختلفة، فإنه يجمع ويسوي بين الأمور المتماثلة فيحكم في الشيء خلقًا وأمرًا بحكم مثله، فلا يفرّق بين المتماثلين ولا يسوّي بين غير متماثلين. وقد بيّن سبحانه وتعالى أن السنة لا تتبدل ولا تتحول في غير موضع»[1].

* قال تعالى: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَائِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ [القمر: ٤٣].

* وقال تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ...﴾.

* وقال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

* وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [الأنعام: ٦].

* وقال تعالى: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البقرة: ٢١١].

❑ قال الإمام القرطبي: ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ﴾ لفظ

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (١٣/ ١٩).

عام لجميع الناس، فاللفظ منسحب على كل مبدل نعمة اللَّه»[١] .

✍ والمقصود بالنعمة هنا هي نعمة الإيمان.

* وقال تعالى: ﴿ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ [الدخان: ٣٨].

* وقال تعالى: ﴿ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الزخرف: ٨].

«جعلناهم عبرة لمن بعدهم من المكذبين أن يصيبهم ما أصابهم أي ما أصاب من سبقهم من المكذبين»[٢] .

* وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: ٥١].

«ولقد أهلكنا أمثالكم في الكفر من الأمم السابقة فهل من معتبر بذلك؟».

* وقال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴾ [محمد: ١٠].

«أي: لهم أمثال عاقبة تكذيب الأمم السالفة إن لم يؤمنوا»[٣] .

* وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴾ [المرسلات: ١٦ ـ ١٨].

* وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ

(١) «تفسير القرطبي» (٣/ ٢٨).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ١٢٣).

(٣) «تفسير القرطبي» (١٦/ ٢٢٤)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٤٥).

كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [الاحقاف: ٢٦].

* ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَائِكُمْ ﴾ قد كان لأهل الكفر إبداع مادي كما قال اللَّه تعالى: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [الشعراء: ١٢٨ ـ ١٣٤].

* وقال تعالى: ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [الشعراء: ١٤٦ ـ ١٥٠].

* وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الانعام: ٤٤].

* وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ﴾ [يونس: ٢٤].

فلما عتوا وتجبروا وكفروا وظلموا أخذهم اللَّه.

هذه السنن كلها تبشر أن ظلام الغرب سيزول وأن هذه الحضارة الكاذبة ستذهب إلى مزبلة التاريخ.

* الاتحاد السوفيتي إلى مزبلة التاريخ ولعنات البشر:

من كان يظن أن الاتحاد السوفيتي ثاني أعظم قوة في العالم..

صاحب أعظم ترسانة نووية والإمكانيات المادية الهائلة يزول ما بين يوم وليلة، وتقهره أفغانستان المسلمة وتنتصر عليه.. ويتفكك هذا الاتحاد إلى دويلات صغيرة.. ويصيبهم اللَّه بالفقر المدقع بإلحادهم وكفرهم بما جعلهم يتسولون الدول.

✍ وقد توقع هذا كله «محمد أسد» في كتابه المشهور «الإسلام في مفترق الطرق» الذي كتبه في دلهي عام ١٩٣٤ تكلم عن صعود الإسلام مقابل انحطاط الحضارة الغربية المادية التي تشمل الاتحاد السوفيتي.

«بدت تلك الرؤيا غير دقيقة لمدة ستين عامًا، فبعد الحرب العالمية الثانية، بدلاً من أن ينهار الغرب، انقسم إلى معسكرين، ظهر أنها يوازنان بعضهما البعض لعصور قادمة.

واليوم، بعد إفلاس النظام والعقيدة الشيوعية منذ ١٩٩٠، وعلامات الخطر بأزمة روحية أخلاقية في الغرب، تمر المسيحية بتغيير في المشروع، وما كان يسمى «مشروع التحديث»، يتساقط أمام أعيننا.

✍ بدأ منظّرو وعلماء الغرب يشكّون إذا كانت افتراضاتهم الأساسية صحيحة»[1].

البشرية تدلف إلى الهاوية، مقودة بسلاسل هذه الحضارة المادية البرّاقة، وهي في كل لحظة تقترب من الهوة الرهيبة..

لم يكن بدٌّ وقد شرد الإنسان عن ربه ومنهجه وهداه، وعبد الإنسان نفسه واتخذ إلهه هواه، ومن المادة إلهًا، ومن الجنس إلهًا،

(١) كتاب «الإسلام عام ٢٠٠٠» لمراد هوفمان ترجمة عادل المعلم ص(١٨) ـ دار الشروق.

وجهل نفسه، وراح يخبط في التيه بلا دليل، واعتدى على فطرته التي فطره اللَّه عليها، في حموة الشرود عن ربه وفطرته ومنهجه، لم يكن بد وقد كبت الجوانب الحية المرفرفة اللطيفة في حسه أن تحل به عقوبة الفطرة، وأن يؤدي ضريبة المخالفة عن ندائها العميق، وأن يؤديها فادحة مدمرة وقد كان . . .

أدّاها من نفسه وأعصابه، ومن بدنه وعافيته، ومن سعادته وطمأنينته ومن مواهبه وخصائصه فينتكس إلى البربرية، وأدى الضريبة فادحة صارمة حروبًا رهيبة ضحاياها بالملايين قتلى وجرحى ومشوهين ومعتوهين ومعذبين.

* ضلال إنسان الغرب:

يضل إنسان الغرب عن ربه رغم غرقه في متاع الدنيا، وهذا المتاع نفسه شقوة، شقوة في الدنيا وفي الآخرة، وغصص وعقابيل تتبعه. يضلّ فيتخبّط في القلق والحيرة والتّكفّؤ والشقاء ولو كان في المرتع الممرع.

حياته مقطوعة الصلة باللَّه ورحمته الواسعة، وكلها ضنك. ضنك الانقطاع عن اللَّه والاطمئنان إلى حماه، وضنك الحيرة، وضنك الحرص والحذر. فالحرمان من طمأنينة القلب والحرمان من الإيمان شقوة لا تعدلها أي شقوة، وطمأنينة الإيمان تضاعف الحياة طولاً وعرضًا وعمقًا وسعة.

* ظلام من الغرب..بل موت يتبعه ألف موت:

الفكر الغربي مادي، يحتقر الروحيات، حسي لا يحفل بالمعنويات، واقعي لا يؤمن بالمثاليات.

❑ يقول «ليوبولد فايس» النمساوي الذي أسلم وتسمى باسم «محمد أسد» في كتابه «الإسلام في مفترق الطرق»:

«إن المدنية الغربية لا تجحد اللَّه ألبتة، ولكنها لا ترى مجالاً ولا فائدة «للَّه» في نظام فكرها الحالي».

«إن الأوربي الحديث.. سواء عليه أكان ديمقراطيًّا أم فاشيًّا، رأسماليًّا أم بلشفيًّا، صانعًا أم مفكرًا.. يعرف دينًا إيجابيًّا واحدًا هو التعبد للرقي المادي»[١].

❑ يقول الأستاذ «جود» الإنجليزي:

«إن نظرية الحياة التي تسود هذا العصر وتحكم عليه: هي النظرة في كل مسألة وشأن من ناحية المعدة والجيب»[٢].

❑ ويقول الصحفي الأمريكي المشهور «جون جنتر» في كتابه «في داخل أوربا»:

«إن الإنجليز إنما يعبدون بنك انجلترا ستة أيام في الأسبوع، ويتوجهون في اليوم السابع إلى الكنيسة»[٣].

✍ والمسيحية عند هؤلاء «شعار يرتبطون به» و«صليب يتجمعون حوله» ونزهة إلى «الكنيسة»، وليست لهم عقائد يخضعون لها ولا قيم يؤمنون بها.

*** أخي:**

تعال معي إلى حياة أهل الغرب، وَدَعْ الأرقام والإحصائيات تتكلم:

---

(١) «الإسلام في مفترق الطرق» ص(٤١).

(٢، ٣) «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» لأبي الحسن الندوي ص(١٥٧) الطبعة الثانية.

١ـ الانحلال الخلقي:

في تقرير نشرته كل صحف بريطانيا في إبريل سنة ١٩٦٤، أصدرته الهيئة الطبية في كتيب تخطفته الأيدي فور صدوره في لندن أن ثلث الفتيات اللائي يتزوجن قبل العشرين، يتزوجن «وهن حاملات»[١] !!.

وما وثيقة مؤتمر السكان الذي عقد في القاهرة ١٩٩٤ منا ببعيد هذه الوثيقة الفاجرة التي أباحت الإجهاض الذي يذهب ضحيته حسب إحصائيات الأمم المتحدة ٥٣ مليونًا من الأجنّة: ٢١ مليونًا في السر، ٣٢ مليونًا في العلانية.

✍ وأقرّت هذه الوثيقة الفاجرة كافة أنماط الأسرة بمفهومها الغربي: مثل زواج الجنس الواحد.

* الشذوذ الجنسي:

اعترف رئيس أمريكا السابق كارتر بحقوق ومتطلبات ٢٠ مليون أمريكي من الجنسين يمارسون اللواط والسحاق والشذوذ الجنسي بكل أنواعه..

وذلك بعد مقابلة وفد يضم ٢٠ شخصًا يمثلون منظمات اللواطة والسحاق في أمريكا مع السيدة «مرغريث» مساعدة الرئيس كارتر للعلاقات العامة.

❑ من بين كل عشرة أطفال يعتدى على واحد منهم كل يوم

«قام نحو ٢٠٠ من المخنثين في جميع أنحاء إيطاليا بمسيرة في روما للمطالبة باعتراف القانون بهم كنساء، وانتهت المسيرة خارج مجلس النواب الإيطالي، حيث اجتمع الوفد بالسيد «نيلدي جوني» رئيس المجلس الذي وعدهم بالنظر في مظالمهم»[٢].

(١) نقلا عن مجلة «المسلمون» العدد الثامن (مايو ١٩٦٤).
(٢) مجلة المجتمع (٥٠٣) ص(٢٩).

تقول مجلة (الريدر زوايجست) في عددها الصادر في أغسطس ١٩٨٣ تحت عنوان (أطفال للبيع): «إن استخدام الأطفال جنسيًّا لم يعد أمرًا شاذًّا ولا أمرًا شخصيًّا، وإنما أصبح تجارة منظمة ويبلغ دخلها ما بين خمسمائة إلى ألف مليون دولار، ويعمل فيها آلاف المصورين والكتاب بل والأطباء وعلماء النفس».

وفي لوس أنجلوس تقوم جمعية «رين جيون» التي يدعمها خمسة آلاف عضو بما فيهم بعض الأطباء وعلماء النفس بل وبعض الأدباء الذين يعتقدون أن الجنس نافع للأطفال. وترفع هذه الجمعية شعارها في كل مكان «الجنس في الثامنة وإلا فقد فات الأوان»

"sex by eight or else its Loolate".

ويتاجر هؤلاء بدعارة الأطفال «وصورهم العارية والرجال يفعلون بهم الفاحشة»، وما قضية القسيس «دونالد جيس» واعتدائه الجنسي على الطفل «جوثي أثود» بمجهولة في الإعلام.

منحت السلطات الفرنسية لجماعات الشذوذ الجنسي ترخيصًا بإذاعة خاصة بهم.

في الولايات المتحدة الأمريكية تعتبر مدينة سان فرانسيسكو بولاية كاليفورنيا عاصمة الشاذين جنسيًّا، وأصوات هؤلاء الشاذين تمثل ربع ناخبي المدينة تقريبًا.

وتقدر نسبة اللوطيين والسحاقيات بواحد من كل عشرة أمريكيين في الولايات المتحدة الأمريكية[1].

---

(١) مجلة المجتمع (٦٣٧/ ٣٢).

✍ الآداب اليونانية تمدح الشذوذ الجنسي وتشيد به.

✍ هناك معابد وكنائس خاصة في الولايات المتحدة تقوم بتزويج الرجال للرجال، والنساء للنساء.

✍ ولما نشرت مجلة اللوطية في بريطانيا هجومًا شديدًا على الدين المسيحي؛ لأنه يحرّم الشذوذ الجنسي فردّ عليها أحد كبار الكرادلة في بريطانيا قائلاً: «إن الكنيسة الإنجليكانية هي في حالة مخاض الآن، وإنه عما قريب ستعترف الكنيسة بالشذوذ الجنسي.. وأنه شخصيًّا يعتبر الشاذ جنسيًّا إنسانًا عاديًّا، وأنه لا يمانع إذا أراد مثل ذلك الشخص أن يصبح قسيسًا أو أي شيء آخر»[١].

✍ ذكرت الديلي ميل والديلي ميرور أن ٤٠٪ من الرهبان يمارسون الشذوذ الجنسي وأن ٨٠٪ منهم زناة[٢].

✍ خصصت بعض الجامعات الأمريكية منحًا دراسية خاصة للشاذين جنسيًّا، ومن تلك الجامعات جامعة (سير جورج وليامز) التي تخصص كثيرًا من منحها الدراسية للشاذين جنسيًّا[٣].

✍ افتخر ثلاثة وزراء بكندا في مقاطعة كويبك بأنهم شاذون جنسيًّا، ورئيس حزب الأحرار البريطاني السابق كان يفخر بشذوذه الجنسي.

✍ موجة الشذوذ الجنسي هذه ترجع إلى كتابات وأبحاث ثلاثة من أدعياء العلم هم فرويد وتلميذه هاملك أليس وألفرد كينس. يقول

---

(١) «أفول شمس الحضارة الغربية من نافذة الشذوذ الجنسي» لمصطفي فوري غزال ص(٢٤).
(٢) المصدر السابق ص(٢٥).
(٣) المصدر السابق ص(٢٤).

فرويد: «إن الإنسان يُولد شاذًّا جنسيًّا».

✍ أكبر تجمعات الشاذين جنسيًّا في المدن الكبيرة مثل نيويورك، لوس أنجلوس، شيكاغو، ولندن، وباريس، وأمستردام، وأوسلو.

✍ والغريب حقًّا أن يقوم قسيس في الولايات المتحدة عام ١٩٧٠ بإصدار كتاب أسماه «المسيح شاذ جنسيًّا» عليهم لعائن اللَّه ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾.

✍ في جريدة الفاتيكان اليومية «أوبزر فاتور رومانو» الناطقة باسم الكنيسة الكاثوليكية نشرت مقالاً موقعًا من الرئيس الإيطالي لمعهد روما للاهوت الخلقي «نومينيكو كابوني» يقول فيه: «إن البعض أصبح مقتنعًا إقتناعًا فوق كل دليل بأنه ليس ثمة خطيئة ما في الشذوذ الجنسي»... ثم يقول: «من هذه المسألة أعتقد أن الأفضل هو عدم التحول إلى الجمود في تمحيصنا للحقيقة حتى نتفادى تحطيم أولئك الذين يجدون أنفسهم ضحايا الاضطراب الخَلْقي سواءً كانوا مذنبين أم لا، وأضفنا مسحة من الكآبة على الكنيسة وعلى القوانين الدينية».

✍ نشرت مجلة المجتمع في عددها ٤٧٠ ص(٣٥) بأن اليهود في نيويورك عينوا حاخامًا شاذًّا لكنيس يفخر بخدماتهم للصهيونية، والشذوذ الجنسي.

✍ وتنشر صحيفة اليمامة (٨٢٥/ ٧٣) تقريرًا عن لجنة الشباب والثقافة والتعليم بالبرلمان الأوربي جاء فيه أنه يوجد نحو ٦٠٠ جمعية في دول السوق الأوربية المشتركة من بينها «جمعية أبناء الرب» يمارس أعضاؤها جميع أنواع الرذيلة الجنسية.

❑ يقول الدكتور محمد علي بار: «حتى الحيوانات لم تسلم، للكلاب هناك دور في لعق فروج ربّات الأسر»[١].

ويؤيد كلام الدكتور محمد علي ما قالته المغنية الساقطة «مادونا» عن كلبها.

✍ «وفي تقرير فرنسي من عدة سنوات ذكر: أن في فرنسا سبعة ملايين من الكلاب في شعب عدده ٥٢ مليونًا!»[٢].

* نكاح ذوي القربى:

انظر يا أخي إلى الحضارة التي بنيت على الإباحية، والتي ستنهار سريعًا.

«شكلت الحكومة السويدية لجنة عام ١٩٧٧ لإعادة النظر في المخالفات الجنسية، وتقدمت بتقريرها الذي تضمّن أن يكفّ القانون السويدي عن التدخل في العلاقات الجنسية التي تقوم طوعًا بين البالغين حتى لو كانوا مرتبطين برباط قربى»[٣].

✍ في عام ١٩٧٤ «وافق البرلمان الإسوجي (السويدي) على زواج الأشقاء، وباركت الكنيسة هذا العمل، وكان «لايف» قد تزوّج بشقيقته لأمه «اتفريد» وكان الرفض مفتاح علاقتهما الجنسية حيث يزيدهما قربًا والتصاقًا.

❑ وقالت القسّة بعد موافقة المحكمة الإسوجية على الزواج: «لقد

(١) مجلة المجتمع (٦٥١/ ٤١).
(٢) «الإسلام حضارة الغد» للقرضاوي ص(٤٦).
(٣) مجلة المجتمع (٦١٤/ ٣٠).

كافحتما خمس عشرة سنة، ودافعتما عن حبكما ضد المنزمتين، وضد القوانين، فالحب بين جميع البشر أمام اللَّه واحد»[١] !.

❑ ويكتب أحد الأطباء النفسانيين في مجلة علم النفس الطبي البريطاني، أن بعض النساء الأيرلنديات اللائي كن على صلة جنسية مع آبائهن في طفولتهن وتزوجن فيما بعد، ذكرن له بأنهن غير نادمات على ما فعلن، وأنهن تلذذن بهذه الصلة، وأنهن على يقين من حب آبائهن لهن.

ثم يقول: «إن العلاقات الجنسية بين بعض الآباء وبناتهم يجب أن لا ينظر إليها كنوع من أنواع الشذوذ الجنسي من ناحية الآباء، بل يمكن اعتبارها سلوكًا مقبولاً من ناحية القيم الأخلاقية لهؤلاء الآباء أصحاب النشاط الجنسي المرتفع. كما أنه لم يجد أي اضطراب نفسي وعقلي بين معظم الشابات وأشقائهن الذين اتصلوا بهن جنسيًّا»[٢].

❑ في مجلة «التايمز الأمريكية» في ١٤/ ٤/ ١٩٨٠م قال أستاذ جامعي: «إن تجارب الطفل الجنسية مع أحد أقاربه الكبار، أو غيرهم من البالغين لا يشكل بالضرورة ضررًا على الطفل».

ويقول جيمس رامزي: «إن مزيدًا من الاتصالِ الجنسي بين أفراد الأسرة سيحقق الدفء وسيخفف من هذا السعار الجنسي المحموم في سن المراهقة».

ويقول لاري قسطنطين الأستاذ المساعد في قسم الأمراض النفسية

(١) مجلة المجتمع (٢٠٩/ ١٢).
(٢) مجلة المجتمع (٢١٠/ ٢٤).

في جامعة «تفتس» بالولايات المتحدة: «إن للأطفال الحق في أن يعبروا عن أنفسهم جنسيًّا مع أي فرد حتى ولو كان أحد أفراد عائلتهم»[١].

✍ صدرت الأوامر للجنرال الألماني الأعزب «كيسلينغ مساعد القائد العام لحلف الأطلسي بالتقاعد المبكر لشذوذه الجنسي».

مثلما حدث في عام ١٩٣٨ أقال هتلر قائد الجيش الجنرال «فون فوتيش» بتهمة الشذوذ الجنسي[٢].

* الأسرة الوحيدة التكوين:

لا تعجب فما زال في الجعبة الكثير:

«أنشأ مليونير أمريكي من كاليفورنيا ـ وهو الدكتور «روبرت جراهام» مصرفًا من نوع غريب يعرف بـ «مصرف نوبل للسائل المنوي»!، ويقوم هذا المصرف بجمع هذه المادة من الأشخاص الحائزين على جائزة نوبل وتخزينها، لأجل إخصاب النساء، وإنجاب مواليد يتمتعون بذكاء فوق العادة!.

واتصلت بالمصرف المذكور الدكتورة «آفتون بلاك» من كاليفورنيا، وهي تبلغ أربعة وأربعين عامًا، وأشير عليها بالحصول على السائل المنوي «رقم ٢٨» طبقًا للمواصفات التي كانت تطلبها في مولودها، والجدير بالذكر أن مواد السائل المنوي التي تم تخزينها في المصرف لا تُعرف بأسماء أصحابها، وإنما لكل منها رقم معين.

---

(١) مجلة المجتمع (٦٥١/ ٤١).

(٢) انظر جريدة الشرق الأوسط (٢٨/ ١/ ١٩٨٤/ ١١).

✍ وأصبحت الدكتورة «بلاك» حاملاً، ووضعت طفلاً في موعده، وسمي هذا الطفل «دورون»، وتعنى باليونانية «الهدية»، وأدخل الطفل في سن الرابعة من عمره إلى المدرسة.

وقابل «إيان برودي» مراسل صحيفة «ديلي تلغراف» اللندنية أم الطفل في بيتها «بلوس أنجلوس» وعلى حد تعبير المراسل: «السعادة التي كانت تغمر الدكتورة «بلاك» بدأت تتحول تدريجيًّا إلى الشقاء؛ وذلك لأن ولادة طفل بدون أب وضعتها في مأزق، ومن المشكلات العديدة التي تواجهها الدكتورة «بلاك» أن المولود قد تعلّم الكلام، وهو يسأل مرارًا وتكرارًا «أين أبي؟»»، وأخبرت الدكتورة «بلاك» المراسل الصحفي البريطاني: «لقد تضايق مني «دورون» ذات مرة، وقال: إنه سيغادر البيت ليعيش مع أبيه!!»[1].

* بيع الأطفال:

✍ هل هناك أسمى وأبقى وأخلد من عاطفة الأُبوّة والأمومة؟ تلك العاطفة التي لم يُحرم منها الحيوان الأعجم، بله الإنسان المكرم فكيف طغت المادية على تلك العاطفة الجميلة الأصيلة فجعلت الآباء والأمهات يبيعون أبناءهم وبناتهم؟!

كتب أحمد بهاء الدين رئيس تحرير جريدة الأهرام ٢٦/ ١٢/ ١٩٥٩:

«قرأت هذا الأسبوع تقريرًا أليمًا، نشرته بعض الصحف البريطانية، يقول باختصار: «إن بريطانيا تنتشر فيها ظاهرة بيع الآباء والأمهات

(١) عن كتاب «المرأة بين شريعة الإسلام والحضارة الغربية» لوحيد الدين خان نشر دار الصحوة ـ القاهرة.

لأطفالهم، في سبيل شراء أشياء مختلفة: بيت صغير، أو تليفزيون، أو ثلاجة كهربائية، والذين باعوا أطفالهم بيعًا خلال سنة ١٩٥٩ في بريطانيا وصل عددهم إلى ثلاثة آلاف».

✍ ويقول التقرير مفصلاً: «إن الآباء والأمهات الذين باعوا أولادهم كلهم أزواج شرعيون، وليسوا من المطلقين والمطلقات أو الأرامل».

إن الآباء والأمهات لم يبيعوا فلذات أكبادهم طلبًا لغذاء يسدّ جوعتهم، ولا لكساء يستر عورتهم، ولا لضرورة من ضرورات الحياة، بل باعوهم من أجل أشياء كمالية، يعيش كثير من الناس بدونها، من أجل ثلاجة أو جهاز تليفزيون، فما أغلى المبيع وما أرخص العوض!!

✍ وفي المجتمع الغربي ظهرت مشكلة الأولاد المحرومين من عواطف الأمومة والأُبوّة بسبب خروج الأبوين معًا للعمل، وهو ما أطلق عليه بعض الكاتبين عنوان: «أطفال بلا أسر».

✍ وفي المجتمع الأمريكي الذي يسير نحو الهاوية، نشرت مجلة «نيوزويك» في مايو سنة ١٩٧٨ عن نتائج استطلاعها لآراء القرّاء حول الحياة العائلية الأمريكية، فإن نصف الزيجات في الولايات المتحدة تنتهي إلى الطلاق.

* أغرب من الخيال.. هدية لمن يردن مساواة الرجال.. رجال يعيشون عالة على زوجاتهم المطلقات:

ابتزاز الرجال للنساء عند وقوع طلاق الزوج الفقير أو المتوسط من زوجة غنية.. قالت الصحفية المصرية «مها عبد الفتاح» في رسالتها من أمريكا إلى صحيفة أخبار اليوم في ٦/ ٨/ ١٩٩٤:

«في الأعوام الأخيرة زادت نسبة النساء ذوات الدخول الكبيرة زيادة ملحوظة.. ممثلات.. مانيكانات.. مصممات أزياء.. مذيعات.. صحفيات.. محاميات.. عضوات مجالس إدارة صعدن السلم الوظيفي.. بطلات رياضيات.. سيدات أعمال وشركات وإعلانات.. والواحدة منهن ستواجه محنة فيما لو انتهت علاقتها الزوجية لسبب، أو لآخر وكان الزوج أقل منها دخلاً.. سيطالبها.. غالبًا ـ «أن تعوله!».

وأقسم باللَّه أن هذا هو التعبير المستخدم اجتماعيًّا وقانونيًّا "To support Him" وعلى ذات المستوى الذي تعوّد عليه معها!! والقضاة يطبقون على النساء حاليًا ذات القوانين التي تُطبّق على الرجال في حالة إعالتهم للمرأة، فإذا كانت الزوجة هي الأكبر دخلاً في شركة الزواج، فلماذا لا تعول الرجل، أو تدفع له نفقة تساعده في حياته الجديدة من بعدها.. وما دام القانون في معظم الولايات الأمريكية يبيح للزوجة أن تحصل على نصف ثروة زوجها، ويظل يدفع لها نفقة طالما لم تتزوج، فلماذا تُستثنى من ذلك المرأة ذات الإمكانيات.. إن النساء هن اللاتي دفعن إلى ذلك بفتح باب المساواة على مصراعيه.. خذن إذن.. اشربن من كأس الرجل.. وادفعن من دم قلوبكن وعرقكن.

«ولهذا يشجعون النساء ذوات الدخول الكبيرة أن يحتطن للمستقبل.. وهو أن يعقدا تسوية للطلاق ويوقعان عليها من قبل الزواج.

سنجد باقة من أشهر الشخصيات والأسماء:

✍ من مذيعة التلفزيون المشهورة التي تقدم برنامج «صباح الخير أمريكا» في شبكة «أي بي سي» واسمها «جون لاندن» إلى الممثلة الشهيرة

«جين ميمور» و«جين فوندا» و«كيم باسنجر» و«روزان» و«جون كولنز» ومصممة الأزياء «ماري ماك فادن» والذي أثار هذا الموضوع لأكتب فيه هو قضية جديدة رفعها هذا الأسبوع ممثل معروف اسمه «توم أرنولد» ضد زوجته الممثلة المشهورة «روزان» أشهر كوميديانة في التلفزيون الأمريكي يطالبها فيها بنفقة شهرية قدرها مائة ألف دولار، ليستطيع العيش في نفس المستوى الذي تعوّد عليه معها!.. وهي لا تزال تدفع نفقة لزوجها الأسبق!!.

✍ والمذيعة المشهورة «جون لاندن» والتي يبلغ دخلها السنوي ٢مليون دولار.. فوجئت بزوجها يطالبها بنفقة إعالة! ورفضت في البداية، ثم اضطرت للموافقة ودّيًّا على أن تعطيه شيكًا من ستة أرقام ليمضي عنها، ولكنه رفض، ولجأ إلى المحكمة فحكم له قاضي في نيويورك بثمانية عشرة آلاف دولار.

✍ ومصممة الأزياء «ماري ماك فادن» التي تزوجت من شاب عمره ٢٤ عامًا، ولم يستمر زواجهما أكثر من ٢٢ شهرًا بادر بعدها بطلب الطلاق والنفقة، والمستحقات فقد طالبها بنفقة سبعة آلاف دولار في الشهر، بالإضافة إلي مصاريف الجامعة، وإيجار السكن، ونفقات المحامين، غير حصة في شركة «ماك فادن» للأزياء باعتباره شريكًا سابقًا في حياتها الزوجية!! وحكم القاضي بنفقة قدرها ٦٠٠ دولار في الشهر لمدة أربع سنوات مع اعطائه مبلغًا على سبيل التسوية، أو المؤخر في حدود مائة ألف دولار عن زواج دام ٢٢ شهرًا فقط لا غير!

✍ والممثلة المشهورة «جون كولنز» أصرت عند زواجها في الثمانينات من شاب سويدي يصغرها بأربعة عشر عامًا أن يوقع أولاً من

قبل الزواج على اتفاق الطلاّق!، فقد كانت «جون كولنز» لا تزال تدفع نفقة زوج أسبق.. وقد نفعها اتفاق الطلاق من قبل الزواج؛ لأنه عندما رفع عليها الزوج السويدي قضية نفقة مستعجلة، قدّمت هي للمحكمة ذلك الاتفاق فرفضت طلبه، وقد كان يطالبها بمبلغ ٨٠ ألف دولار نفقة شهرية مؤقتة، بالإضافة إلى نصف دخلها من عملها السينمائي والتلفزيوني خلال الثلاثة عشر شهراً زواجًا!!.

✍ والممثلة «كيم باسنجر» اقتسمت عقاراتها مع زوجها «الماكيير» الذي تزوجته لثماني سنوات وطالبها بنفقة لا تقل عن ١٢ ألف دولار شهريًّا!

✍ و«جين فوندا» دفعت لزوجها السابق عشرة ملايين دولار «مؤخر»؛ لأنها كانت تكسب خلال الزواج خمسين مليون دولار في العام.

✍ وحتى العلاقات بين اثنين من جنس واحد، كما في قضية لاعبة التنس العالمية «مارتينا نافراتيلوفا»، إذ رفعت ضدها صديقتها السابقة قضية تطالبها فيها بالنفقة عن سبع سنوات عِشْرة!!، واضطرت بطلة التنس المليونيرة أن تتنازل لها عن عزبة قيمتها عشرة ملايين دولار وعقار، وموافقة على حق الصديقة في نشر كتاب عن قصتهما معًا!! وباعت الصديقة ملخصًا للحكاية إلى «جريدة ديلي ميرور» البريطانية، وتقاضت عنها ٦٥ ألف دولار..!!».

* الأسرة الوحيدة الجنس:

أي التي تتكون من رجلين أو من امرأتين..

تُقنّن الحضارة الغربية اللواط والسحاق.. وهذا منتشر في

المجتمع الغربي.

تعيش المرأة مع المرأة كزوج وزوجة مثلما كان من أمر الهولنديتين «باولا ديجز» ٣٩ سنة، و«جانين هاكسمان» ٣٨ سنة، ثم والكثيرات والكثيرات وتبارك الكنائس ذلك.

✍ في بلاد الغرب وحضارة الغرب «الأم المستأجرة» أو «الأم بالوكالة» أي يُستأجر رحم المرأة نظير جُعل مادي ويتم حقن رحم هذه المرأة بالسائل المنوي لرجل غير زوجها وبعد وضع المولود تأخذ الأجر وتدفع المولود للعائلة التي تريده..

* الشيخوخة محتقرة:

«في سويسرا[1] معظم الذين بلغوا سن/الستين لا مكان لهم في منزل الأسرة، وإنما ينقلون بسرعة إلى منازل العجائز شبه المعزولة عن المجتمع ليعيشوا بقية عمرهم محرومين من العطف الأسري، إذ إن زيارة الأهل والأصدقاء تقل تدريجيًا عامًا بعد عام، حتى تنعدم تمامًا، وبيوت العجائز تقام على مشارف المدينة»[2].

❑ وتجارة بيع الأطفال كرقيق واختطافهم رائجة في دول الغرب وحضارة الغرب فما بعد هذا إلا الانهيار التام..

* حضارة الجريمة والخوف:

على الخوف ينام الغرب ـ إن نام ـ وعلى الخوف يصحو قال تعالى:

---

(١) بل في الغرب كله.

(٢) جريدة الأهرام ١٦ ذي القعدة ١٣٩٤هـ.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

✍ نقلت مجلة «أيس نيوزآند وورلد ريبورت» أرقامًا عن معدل الجريمة في أمريكا مستقاة من مكتب التحقيقات الجنائية خلال عام ١٩٧٩ تقول:

«إن جريمة خطيرة تُرتكب كل ثانيتين ونصف، وحادث سرقة كل ثلاث ثوان، وسطو كل عشر ثوان، وجريمة عنف كل ٢٧ ثانية، وسرقة سيارة كل ٢٩ ثانية، واعتداء على أشخاص لأي سبب أو بلا سبب كل ٥١ ثانية، واغتصاب كل سبع دقائق، وجريمة قتل كل ٢٤ دقيقة.

✍ وانظر إلى هذه الصورة المرعبة التي ينقلها وزير العدل الأمريكي «وارن بيرجر» فقد قال: في شهر فبراير سنة ١٩٨١ وفي أعقاب قيام رئاسة جديدة وحكومة جديدة في أمريكا: «إن هناك حكمًا من الإرهاب يسود المدن الأمريكية، ثم يتساءل: «ألسنا رهائن داخل حدود بلادنا المستنيرة المتحضّرة»؟!

❑ ويقول مدير شركة «هوستون» الأمريكية بولاية «تكساس» الأمريكية: «الخوف من الجريمة يهدد تدريجيًّا بشلل الحياة في المجتمع الأمريكي. .لقد سمحنا لأنفسنا بالتحلل والتفسّخ إلى الحدّ الذي أصبحنا فيه نعيش مثلما تعيش الحيوانات. .فنحن نعيش وراء قضبان حديدية تحمينا من وصول اللصوص إلينا، ومجموعة من الأقفال المثبتة في الأبواب وأجهزة الإنذار، ثم نرقد على الفراش وبجوارنا مسدس محشو

بالـرصاص، وبعد هـذا نحاول أن نحـصل علـى شيء من الراحـة.. يا للسخرية!

«ورئيس شرطة «هـوستون» يعرف عن أي شيء يتـحدث، لأنه هو نفسه يحتفظ بعدة مسدسات محشوة بالرصاص في غرفة نومه!».

وفي «تقرير فيجـي» عن أثر الجريمة على الحالة النفسـية للأمريكيين ظهر أن:

✍ أربعة مـن كل عشرة مـواطنين يشـعرون أنهم مُـعرّضون للـقتل والاعتداء والسـرقة والاغتصاب، وهو شعـور دائم يلازمهم في حـياتهم اليومية.

✍ ٥٢٪ من الناس في المدن الكبيرة يعيشون في خوف دائم، وتهبط هذه النسـبة إلى ٤١٪ في المدن الصـغيرة، وإلى ٣١٪ في الـضواحـي الصغيرة والمناطق الريفية.

✍ ٥٢٪ من مجموع من جرت عليهم هذه الدراسة يمتلكون أسلحة للدفاع عن أنفسهم.

✍ سبعة مـن كل عشرة يغلقـون أبواب السيارات من الـداخل أثناء قيادتهم لها، وستة مـن بين كل عشرة يتصلون تـليـفونيًّا بأصدقـائهم أو أقاربهم الذيـن كانوا في زيارتهم ليطمـئنوهم على وصولهم إلـى بيوتهم سالمين.

«إن أمريكا تعيش اليوم في قبـضة خوف جديد.. تزداد ضغطًا مع الوقت.. الخوف مـن أن تقع ضحية لجريمة.. الخـوف من الإصابات.. الخوف من ضياع ما يملكون.. إن الأمريكـيين اليوم يعيشون في خوف، بعضهم من بعض».

✍ في أمريكا السائقون السكارى يقتلون على الطرق ما يزيد على ٢٠,٠٠٠ شخص في العام الواحد.

✍ وفي ألمانيا تضاعفت جرائم القتل الناري عشرة أضعاف.

وفي فرنسا زادت نسبة الجريمة ٣٢٪ لا سيما عمليات السطو المسلح.

* جرائم النساء أكثر مع نمو حركات التحرر النسائية:

نشرت (النيويورك تايمز) تحقيقًا مذهلاً اعتمد فيه على تقارير من مكتب التحقيق الفيدرالي تقول فيه: «خرج أخيرًا تقرير من مكتب التحقيقات الفيدرالية يشير إلى أن معدل الجريمة بين السيدات، ارتفع ارتفاعًا مذهلاً مع نمو حركات التحرير النسائية».

وقال التقرير: «إن الاعتقالات بين النساء زادت بنسبة ٩٥٪ من عام ١٩٦٩ بينما زادت الجرائم الخطيرة بينهن بنسبة ٥٢٪».

ويقول التقرير: «إن أخطر عشرة مجرمين مطلوب القبض عليهم كلهم من السيدات، ومن بينهن شخصيات ثورية اشتركن في حركة التحرر النسائية مثل جين ألبرت وبرناردين دورن.

وتقول الصحيفة: «وراء ربط ارتفاع نسبة الجريمة بين النساء بحركات التحرر النسائية وجهة نظر تقول: إن منح المرأة حقوقًا متساوية بالرجل يشجعها على ارتكاب نفس الجرائم التي يرتكبها الرجل بل إن المرأة التي تتحرر تصبح أكثر ميلاً لارتكاب الجريمة»[1].

---

(١) «أفول شمس الحضارة الغربية من نافذة الجرائم» لمصطفى فوزي غزال ص(١٦ ـ ١٧).

* البطالة:

نشرت جريدة الشرق الأوسط تقريراً عن البطالة فقالت:

«تفشّت مشكلة البطالة بين الشباب الأمريكي الأسود لدرجة بات معها الإجرام مصدر دخل رئيسي لقطاع كبير من فئة العمر بين ١٥ و٢٤ سنة» ثم تقول: «إن ربع دخل الشبان في فئة العمر المذكورة بات مصدره الجريمة» كما يقول أستاذ بجامعة ديول الأمريكية، وكذا يقول البروفيسور فيسكوسي»[١].

✍ بل وازدادت حوادث القتل داخل كنائس أمريكا.. وفي مدينة باترسون في نيوجرسي قُتل قسيس كاثوليكي عمره ٧٩سنة.. وهذا ما دفع الكثير من رجال الدين إلى الاحتماء بالحرس، وأجهزة الإنذار الأوتوماتكية لحماية أنفسهم من الجرائم»[٢].

* الخطف:

أما الخطف فحدّث ولا حرج:

✍ في دول أمريكا اللاتينية لا يزال ٧٥ ألف شخص في عداد المفقودين.

✍ وفي أمريكا الوسطى عدد المفقودين في غواتيمالا وهندوراس والسلفادور ونيكاراغوا والتي يصل عدد سكانها مجتمعة ١٩,٢ مليون نسمة يزيد عدد المفقودين عن ٤٢ ألف و٢٢٤ شخصًا في الحالات التي

---

(١) جريدة الشرق الأوسط» (١٨٥٩)، الصفحة الأخيرة.

(٢) المجتمع (٢٧١/ ٢٢).

اعترفت بها السلطات.

✍ شهدت إيطاليا في النصف الأول من العام الماضي جريمة قتل كل ساعتين وجريمة سرقة في كل دقيقة[١].

* الانتحار:

الإنسان الغربي غريب معزول عن أعماق ذاته فقَدَ كُلَّ ما يربطه باللَّه...

✍ فقد ذكرت مجلة «تايم» في تحقيق صحفي بعنوان «انتحار المراهقين» بأن الولايات المتحدة تشهد زيادة مستمرة في حوادث انتحار صبيان وفتيان تتراوح أعمارهم ما بين عشرة وعشرين سنة! وقد ارتفعت هذه الحوادث إلى ثلاثة أضعاف عمّا كانت عليه حتى عام ١٩٥٠، ففي عام ١٩٨٥ أقدم على الانتحار ستون مراهقًا ومثلهم من الكهول من بين كل مائة ألف شخص».

✍ وتحظى الولايات المتحدة الأمريكية بنصيب الأسد في عدد المقدمين على الانتحار بسبب الفشل، فقد بلغ عددهم خلال عام واحد ما يقارب الربع مليون شخص أي بمعدّل ١٢٠ شخصًا يوميًّا، وهذا بدون شك يفوق عدد جرائم القتل التي تقع في نفس الفترة الزمنية.

✍ «أما في بريطانيا وحدها فقد بلغ عدد ضحايا الانتحار ٤٠ ألف شخص خلال عام واحد.

وأصدرت المنظمة العالمية للصحة تقريرًا في هذا المجال ذكرت أن

---

(١) المجتمع (٢٤٢/ ٣٩).

هيئاتها قد سجلت ثلاثة ملايين ونصف مليون حادثة انتحار خلال عام ١٩٦٩/ ١٩٧٠»[١] .

❑ قالت مجلة المجتمع:

«إن إحصائيات الانتحار في الدول الإسكندنافية في الآونة الأخيرة، أذهلت المفكرين الاجتماعيين، فالمعروف أن هذه الدول تُعتبر من أرقى بلاد العالم من حيث الرفاه الاقتصادي والاجتماعي، ويشتهر أهلها بدماثة الخلق والوداعة، إلا أن بعض المفكرين يعزون هذه الظاهرة إلى الحرية الجنسية الكبيرة جدًّا في تلك البلاد»[٢] .

❑ وتقول المجتمع أيضًا:

«وهكذا نجد أن أكبر نسبة للانتحار هي في أكثر الدول رُقيًّا ماديًّا كالسويد وسويسرا، وترى الوجودية تشجع على الانتحار للخلاص من الحياة التي هي عبث وسأم وغثيان ولقد كان آخر إنجار لهذا الاضطراب في بلدان الكفر هو ذلك الانتحار الجماعي الذي صدم العالم ببشاعته حيث أشرف زعيم جماعة «هيكل الشعب» الكاهن «جيمس جونز» على انتحار حوالي تسعمائة شخص من أتباعه بالسم، وأنبأهم بقراءات من رسالة بولس الرسول ثم أطلق الرصاص على صدغه، فلحق بهم إلى لعنة اللَّه وغضبه..

وهناك جماعة أخرى ظهرت في بريطانيا شعارها «تخلّص من حياتك بإرادتك وبطريقة سهلة»، وتلقى هذه الجماعة رواجًا ضخمًا حتى

(١) مجلة المجتمع (٤٤/ ٢٤).
(٢) مجلة المجتمع (٢٨٥/ ٤٨).

تضاعف عدد أعضائها خلال شهرين من ٢٠٠٠ إلى أربعة آلاف، خصوصًا بعد إصدار كتاب جديد يتضمن نصائح عن أفضل طرق الانتحار»[١].

✍ انتشر الانتحار بصورة مرعبة في أمريكا تفوق ما عُرف عن السويد والدول الإسكندنافية. والغريب أن يستشري الانتحار بين النساء أكثر من الرجال، وخاصة في ولاية كليفورنيا، الولاية الثانية في أمريكا من حيث عدد السكان، وذلك من جراء التمزق النفسي.

✍ وما انتحار أشهر ممثلات أمريكا «مارلين مونرو» من الناس ببعيد، وكذا إقدام «بارجيت باردو» صناعة فرنسا الأولى التي فاقت مبيعات سيارات «رينو» وتصدّرت صورها أغلفة المجلات ٢٩,٣٤٥ مرة كما تقول ريدرز دايجست مايو ١٩٨٦ ومحاولتها الانتحار للخواء الروحي والقلق الداخلي وقسوة العزلة.

* القلق النفسي واليأس والاكتئاب:

❑ يقول «ليبولد فلم دانز» في كتابه «الإنسان والضمير المأسوي الممزّق»: «إن الإنسان المنتمي إلى عصرنا لا يؤمن بشيء، ولا يُفكر، أو إنه لم يفكّر بعد، ولكنه يعلم كثيرًا أن نهاية المسيحية تشمل أيضًا نهاية الأيدولوجيات الأخرى كالماركسية التي تجتاز من أجل ذلك أزمة عميقة، وأن هذه الأزمة ليست أبدًا علامة حياة بل علامة موت»[٢].

---

(١) المجتمع (٤٧٠/ ٣٤).

(٢) من كتاب «الإسلام أيدلوجية المستقبل» للدكتور مهدي عبود.

ويقول المفكر «لاموني»:

«إن الجنس البشري بكامله يمشي بخطا حثيثة إلى الهلاك إنه في النزع الأخير، كذلك الإنسان الجريح المسكين الذي لا يرجى له شفاء، فكثرة الأخطاء في حضارتنا تجرّها إلى الغرق»[١].

ويقول ألكسيس كاريل في كتابه «الإنسان ذلك المجهول»: «إن القلق والهموم التي يعاني منها سكان المدن العصرية تتولد عن نظمهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فإن البيئة التي أوجدها العلم للإنسان لا تلائمه؛ لأنها أُنشئت دون اعتبار ذات الإنسان»[٢].

ويقول «برتراند رسل» عن شقاء الإنسان:

«إن حيوانات عالمنا يغمرها السرور والفرح على حين كان الناس أجدر من الحيوان بهذه السعادة، ولكنهم محرومون من نعمتها في العالم الحديث، واليوم أصبح من المستحيل الحصول على هذه النعمة والسعادة»[٣].

بعد إلحاد الغرب ماذا تنتظر؟.. انظر إلى «نيتشه» الناطق بلسان الغرب، والمتكلم بلسان حضارتهم من خلال فلسفته «هكذا تكلم «زرادشت» عن موت الإله ونشوء الإنسان السوبر مان»، وصاح «نيتشه»: «مات اللَّه وقد قتلناه، وإن الإنسانية تشيعه بمأتم حافل، ما الإيمان باللَّه إلا ضعف ونتيجة ضعف»[٤].

---

(١) عن كتاب «الغرب» للأستاذ راشد الغنوشي رئيس تحرير «المعرفة» التونسية.

(٢) كتاب «طريقنا إلى النصر» لراشد الغنوشي ص(٢٧).

(٣) «الإسلام يتحدى» لوحيد الدين خان.

(٤) «الغرب» لراشد الغنوشي ص(٢٢).

✍ «الإيمان باللّه شك بالإنسان، والإنسان يكفي ذاته بذاته».

❑ ويقول ماكينل:

«إن الحضارة الغربية في الطور الأخير من أطوار حياتها لأشبه بالوحش الذي بلغت شراسته النهاية في انتهاكه لكل ما هو معنوي، وبلغ اعتداؤه على تراث السلف وعلى كل مقدّس ومحرّم قمته ثم أغاص مخالبه في أمعائه فانتزعها وأخذ يمزقها ويلوكها بين فكّيه بمنتهى الغيظ والتشفي».

❑ يقول أرثر شوبنهار في كتابه «العالم كإرادة وتصور»:

«إن الحياة تتأرجح من اليمين إلى اليسار من الألم إلى الملل».

✍ «لقد خنقت مداخن المصانع الروح الإنسانية في الغرب».

✍ «لقد تكوّمت أكداس النقود على القلب الغربي فخنقته، لقد انطلق إشعاع الذرة فأباد الرحمة والخلق في أعماق الإنسان»[1].

✍ وانظر إلى كتابات كُتّاب الغرب وخاصة الكُتّاب الطليعيين أو رُوّاد مسرح اللامعقول من الوجوديين ترى القلق والضنك من خلال أسطرهم التي تفحّ بالآلام وتعتصر بالأسى.

إن اليأس، والقلق، والأسى، والألم، والصدمة، والملل، والعبث، والتمرّد، والتمزّق، والمأساة، والشقاء. هذه العبارة لا تكاد تخلو منها صفحة واحدة من صفحات هؤلاء الكُتّاب.

❑ يقول الكاتب الفرنسي «كامي»:

«ينبغي ألا نؤمن بشيء في هذا العالم سوى الخمر، إن صيحته

(١) «الإسلام ومستقبل البشرية» للدكتور/ عبد اللّه عزّام ص(١٩) ـ دار ابن حزم ـ بيروت.

هي: الموت للعالم، حطّموا كل شيء، يجب أن نلغي كل شيء، الإلغاء والإطاحة هو إنجيلي»[١].

❑ ويقول آرثر ميللر الأمريكي:

«إن أكثر الأماكن براءة في بلدي هو مصحّة الأمراض العقلية، وكمال البراءة هو الجنون»[٢].

❑ ويقول «سلاكرو» الفرنسي:

«إن الآلهة لا عمل لها إلا أن تعبث بحطام الإنسان»[٣].

❑ ويقول إيونسكو الفرنسي: «الواقع كابوس مؤلم لا يطاق»[٤].

❑ ويقول هيدجر: «إن الحياة الحقة تكون في اليأس».

❑ أما سارتر [٥] فيرى: «أن الحياة الحقة تكون فيما وراء اليأس، بل ويقول: «الإنسان في صميمه قلق».

❑ ويرى «نيتشه» الفيلسوف الألماني أن الإنسان بين التسليم والتمرّد فوجوده تمزّق وسلب، وهو العالم اللامعقول، ولا يجد الخلاص إلا بالجنون الذي يُخلّصه من تعاسته الحاضرة، ويرى نيتشه أن اليأس والقلق شرطان دائمان للفطرة؟ أم للعظمة الإنسانية.

---

(١) نقلا عن كتاب «فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر» لعماد الدين خليل ص(١٣٠-١٣١).

(٢) في مسرحيته «بعد السقوط» - «فوضى العالم» ص(٢٢).

(٣) «فوضى العالم» ص(١٥٥).

(٤) «فوضى العالم» ص(١٣٥).

(٥) واقرأ له «جلسة سرية»، «موتى بلا قبور»، «الأيدي القذرة»، و «موتة الروح»، و«الذباب».

❑ ويقول «كيركجارد» رائد الفلسفة الوجودية: «إن الوجود معناه: أن نعاني اليأس والقلق حتمًا، إن من يختار اليأس يختار ذاته في قيمتها الأبدية» ولذا نجده قد حاول الانتحار مرارًا، إن الوعي يظهر دائمًا في صورة القلق، وأما اليأس فهو الحدّ الذي يفضي إليه، لقد بقيت الكآبة القاتلة ملازمة لكيركجارد حتى الموت. ولتنظر إلى كتابه «الخوف والرعدة».

هذه حضارة الغرب تبدو مجسّمة في معطيات كبار كتّابهم ومفكريهم وأدبائهم فوضى تأخذ بخناقهم، تسعى إلى تمزيق بقايا خيوط العنكبوت من القيم الغربية.

✍ ولعل أصدق كلمة تعبر عنهم ما قاله الكاتب الإنجليزي «أوسبورن»: «نحن موتى، مكدورون، مُضيّعون، نحن سِكّيرون مجانين، نحن حمقى، نحن تافهون»[1].

نعم إنهم يفتقدون سعادة النفس، ولا يجدونها برغم رفاهيتهم.

❑ يقول الأديب الأمريكي «جون شتاينبك»: «إن مشكلة أمريكا هي ثراؤها، وإن لديها أشياء كثيرة، ولكن ليس لديها رسالة روحية كافية»، وقال أيضًا: «لو أنني أردت أن أدمر شعبًا، فإنني أعطيه أكثر مما يريد، فهذه الوفرة تجعله جشعًا تعيسًا مريضًا! إن شعبنا لا يمكن أن يعيش طويلاً على الأسس الحالية لحياته.

إننا في حاجة إلي ضربة قوية تجعلنا نفيق من تراثنا، لقد انتصرنا

(١) «فوضى العالم» ص(٤٩). ولقد حضر مسرحية «انظر وراءك بغضب» ستة ملايين وسبعمائة وثلاثة وثلاثون ألف شخص.

على الطبيعة ولكننا لم ننتصر على أنفسنا».

❑ يقول أنيس منصور في يومياته بالأخبار في ٥/ ١/ ١٩٦٠:
«الجيل الجديد من الشبان - في أمريكا - يذهب إلى أماكن سرية، ويظل جالسًا في استسلام لا يفكّر، ولا يقول شيئًا، وإنما يركن عقله كأنه سيارة قطعت طريقًا طويلاً، وموتورها يكاد يحترق.. يركن السيارة، ويترك أبوابها ونوافذها وأغطيتها كلها مكشوفة، ويجلس في استسلام وسلبية تامة.

✍ والإحساس بالضياع هو أوضح شعور عند الشبان في أمريكا.. ضائعون تائهون لا يبالون بأي شيء.

إنه جيل قد أسند ظهره للحائط الذي يملكه التجار والسماسرة في كل أمريكا إنه جيل ساخط اليوم وحاقد غداً.. وصوته أضعف من أن يسمعه أحد.. ولذلك فكل أفراد هذا الجيل يتجمّعون في الظلام، ويصوّتون بعضهم على بعض، فيحطمون بعضهم البعض، دون أن تتناثر شظاياهم إلى عيون الآخرين من الراضين اليوم والساخطين غداً».

✍ وانظر إلى حركات التمرد على الحضارة المادية من «الخنافس» و«الهيبز» وهلوستهم، و«تحضير الأرواح» ويبدو أن هلوسة المخدرات جعلتهم يتخيلون أنها حضرت فعلاً، وأنهم رأوها عيانًا.

كانت حركة الهيبز رفضًا صارخًا لوحشية الحياة المادية المعاصرة، التي رمت بالإنسان بين أنيابها التي لا ترحم، حيث قانون الغاب يسود في الغاب المعاصر، ولكنهم كانوا للأسف أسوأ محامين لأعدل قضية.

لوّثوا الطبيعة، وجعلوا الحياة جنسًا وحشيشًا وحتى جريمة

وانحدروا بالذات الإنسانية إلى القذارة ومؤسسات الجنس الجماعي، والأزياء العجيبة الغريبة، والرقص المجنون في «وودستوك» في أمريكا، و«سولذبيري» في بريطانيا، والحشيش.. والعداء للنظافة والماء والصابون والضياع التام والانتحار.. وأخيرًا السقوط المروّع لإمبراطورية الهيبيين نهائيًّا وكل الدلائل تشير إلى ذلك.

✍ ومن مظاهر القلق ولوازمه في الحياة المعاصرة انتشار مرض «الاكتئاب النفسي» الذي يجعل الإنسان سجين نفسه، وهو وسط المجتمع، ويحيل حياته إلى جحيم وبيده الثروة وأدوات اللذة والمتعة، تجعله يحيا في عزلة نفسية، وكثيرًا ما تكون عزلة مادية بالفعل وخصوصًا لدى كبار السن من النساء. وما أمر جريتا جاربو ومارلين مونرو، وبارجيت باردو بخاف على أحد.

نعم.. إنهم وُلدوا وعاشوا في زمن الأحزان وحضارة الأحزان، وأي ساعة عندهم لم تكن كئيبة حزينة.. تُرى متى تصل حبوب منع الحزن إلى عالمهم.

✍ في تقرير منظمة الصحة العالمية تبيّن أن نسبة المصابين بالاكتئاب النفسي تصل إلى ٥٪ من سكان العالم، وأن هذه النسبة ترتفع في بريطانيا إلى ١٥٪، وفي الولايات المتحدة إلى ٢٠٪[1].

✍ نعم على لوائح الإحصاءات يرتسم الرقم المخيف لمرضى الاكتئاب في أمريكا ٣٥ مليونًا.

✍ وحالة الاكتئاب الشامل، وهي حالة مزمنة يصاب بها شخص

---

(١) مجلة المجتمع (٦١٧/٢٦).

واحد من كل ٢٩ أمريكيًّا.

✍ وقد كشفت الإحصاءات التي جرت مؤخرًا العديد من الحقائق المذهلة عن الاكتئاب، فقد تبيّن أن عدد المصابين بهذا المرض ضعف العدد المعلن، ومن أصل ٣٥ مليون أمريكي هناك عشرة ملايين يعانون من حالات اكتئاب حادة، ومن بين هؤلاء ٢٠٪ يعانون من اكتئاب هستيري.

أضف إلى ذلك ٤٠٪ من المدمنين على تعاطي شتى أنواع الخمور في أمريكا وعددهم يزيد على ٨ ملايين يعانون من الاكتئاب بطريقة أو أخرى.

* الاضطراب العقلي:

تقول مجلة المجتمع: «آخر التقارير حول الوجه الآخر لأمريكا تقول بأن في أمريكا اليوم أكثر من مليوني متسكع لا بيت لهم ولا مهنة ولا عائلة، وتذكر الإحصائيات أن ربعهم مرضى عقليون»[1].

❑ وتقول «المجتمع» أيضًا: «أذاعت سكرتيرية الدولة للضمان الصحي والاجتماعي في بريطانيا مؤخرًا إحصائية عن عدد المصابين بالأمراض العقلية وذكرت المجلات الطبية التي نشرت الخبر أن عدد من يصابون بمرض انفصام الشخصية في بريطانيا سنويًّا ٣٤,٠٠٠ شخص بالتقريب منذ سنة ١٩٦٤»[2].

---

(١) المجتمع (٦٢٧/ ٣١).
(٢) المجتمع (٥٥/ ٢٣).

✍ عدد من أعفتهم القوات المسلحة الأمريكية في الحرب الثانية لاضطرابات نفسية وعقلية (٤٣٪) من المجموع الذي يساوي (٩٨٠) ألفًا.

✍ وفي السويد أرقى بلدان العالم ماديًّا أعلى نسبة للأمراض النفسية والعقلية فنسبة المرضى عقليًّا وعصبيًّا ونفسيًّا (٢٥٪) من سكان السويد، وتنفق الدولة (٣٠٪) من ميزانيتها على علاجهم.

ونسبة الموظفين الذين يخرجون من وظائفهم بسبب هذه الأمراض يساوي (٥٠٪) من مجموع المخرجين.

✍ نسجل هنا ما قاله البروفسور «الكسيس كاريل» في كتابه «الإنسان ذلك المجهول»:

وهو شاهد من أهل هذه الحضارة يسجل بالإحصاءات ما يدل على مدى الدمار الذي يعيش فيه الغرب، وإن كانت هذه الإحصاءات قديمة، وقد تضاعفت الأرقام... يقول:

«من العجيب أن الأمراض العقلية أكثر عددًا من جميع الأمراض الأخرى مجتمعة، ولهذا فإن مستشفيات المجاذيب تعجّ بنزلائها وتعجز عن استقبال جميع الذين يجب حجزهم»[1].

❑ ويقول «سي. و. بيرس»: إن شخصًا من كل ٢٢ شخصًا من سكان نيويورك يجب إدخاله أحد مستشفيات الأمراض العقلية بين آن وآخر!!

«وفي الولايات المتحدة تُبدي المستشفيات عنايتها لعدد من ضعاف

(١) يشغل عدد مرضى الأمراض العقلية ٥٥٪ من جميع أسرّة المستشفيات.

العقول يعادل أكثر من ثمانية أمثال المصدورين.

ففي كل عام يدخل مصحّات الأمراض العقلية وما يماثلها من المؤسسات حوالي ستة وثمانين ألف حالة جديدة، فإذا استمر عدد المجانين في السير على هذا المعدّل، فإن حوالي مليون من الأطفال والشبان الذين يذهبون الآن إلى المدارس والكليات سوف يدخلون إلى المصحات عاجلاً أو آجلاً!

✍ ففي عام ١٩٢٢ كان عدد المجانين المودعين بالمستشفيات الحكومية ٣٤٠,٠٠٠ مجنون، كما أن عدد ضعاف العقول والمصروعين المحجوزين في المصحات الخاصة ٨١,٨٥٠ وعدد مطلقي السراح بضمان كلمة الشرف من ضعاف العقول ١٠,٩٣٠ ولا تشمل هذه الإحصاءات الحالات العقلية التي تُعالج في المستشفيات الخاصة. وعلاوة على المجانين يوجد في البلاد كلها ٥٠٠,٠٠٠ من ضعاف العقول»[1].

* مستوى الذكاء والتعليم:

«لقد كشف الفحص الذي تولته اللجنة الوطنية للصحة العقلية بعناية عن أن ٤٠٠,٠٠٠ طفل على الأقل على مستوى منخفض من الذكاء، إلى درجة أنهم لا يستطيعون الاستمرار في المدارس العامة، والإفادة مما يتلقون من علم. وحقيقة الأمر أن عدد الأفراد الذين انحطّوا عقليًّا أكثر من ذلك بكثير»[2].

لقد انحطّت نسبة المتعلمين إلى درجة خطيرة في الدول المتحضرة،

(١) هذا في عام ١٩٢٢ فما ظنك بعددهم اليوم؟!!

(٢) «الإسلام حضارة الغد» للقرضاوي ص(٨٢).

لذا تقول مجلة «المجتمع»:

«يكشف تقرير وضعته لجنة أمريكية مؤلفة من ١٨ خبيراً في شئون التعليم قدم إلى الشعب الأمريكي مؤخراً مدى الخطر الذي يتتاب التعليم في الولايات المتحدة الأمريكية، فقد جاء في التقرير ما يلي:

١ ـ في المقارنات الدولية لمستوى الطلاب والتي أجريت قبل ١٠ سنوات ـ تبين أن الطلاب الأمريكين لم يحققوا المركز الأول أو الثاني في (١٩) اختباراً أكاديمياً، بل كانوا في المركز الأخير في (٧) من هذه الاختبارات بالمقارنة مع الطلاب في البلاد الصناعية المتقدمة الأخرى.

٢ ـ هناك ٢٣ مليون أمريكي في حالة أميّة كاملة في مواجهة أبسط اختبارات القراءة والكتابة والفهم، وهذا العدد يعني واحد من كل ١٠ أمريكيين.

٣ ـ أن نسبة ١٣ بالمئة من الشبان الأمريكيين الذين تبلغ أعمارهم (١٧) عامًا هم أيضًا في حالة أمية مغلية وترتفع هذه النسبة إلى ٤٠٪ بين الأقليات (السود ـ الأسبان ـ الآسيويين ـ النساء . . إلخ).

٤ ـ متوسط المستوى التعليمي لطلاب المدارس الأمريكية هو الآن أقلّ مما كان قبل ٢٦ سنة.

٥ ـ أكثر من نصف الطلاب الموهوبين في اختبار القدرات لا تنعكس مواهبهم في أدائهم المدرسي.

٦ ـ تكشف اختبارات القدرات التي تسبق التحاق طلاب المدارس الثانوية بالكليات عن هبوط مستوى هذه القدرات بلا انقطاع منذ عام ١٩٦٣، ويتضح هذا الهبوط بشكل خاص في مواد العلوم والرياضيات واللغة الإنكليزية.

وقد هبطت بالمثل أعداد ونسب الطلاب الذين يستطيعون تحقيق علامات متفوقة في اختبارات القدرات.

وقد أوضحت اللجنة في ختام تقريرها توصيات تدل على أن الولايات المتحدة قد تحولت تعليميًّا إلى دولة نامية»[١].

* حضارة الجوع والفقر:

❑ «نُشر في واشنطن في الأسبوع الماضي تقرير رسمي يبيّن أن طفلاً واحدًا من بين خمسة أطفال في الولايات المتحدة الأمريكية يعيش في حالة فقر، وهي أعلى نسبة وصل إليها هذا المعدل على الإطلاق، كما أظهر التقرير أن طفلاً واحدًا من بين خمسة أطفال يعيش الآن مع أمه»[٢].

❑ تقول مجلة المجتمع: «في الوقت الذي يتلقّى فيه المزارعون الأمريكيون المساعدة من حكومتهم لترك ملايين الهكتارات دون زراعة خوفًا من عدم القدرة على الحصول على سعر مناسب.

وفي الوقت الذي تتلف فيه أمريكا بين حين وآخر عشرات الأطنان من السلع الغذائية للغاية السابقة نفسها يعاني الملايين من سكان أمريكا من غائلة الفقر وحرمان الطعام.

من أجل ذلك نظمت لجنة «اللاعنف» ـ وهي تنظيم يدافع عن مصالح الفقراء الأمريكيين ـ مسيرة من العاصمة واشنطن إلى مدينة كانساس سيتي بولاية ميسوري، لبدء إضراب مفتوح عن الطعام بهدف إرغام المسئولين الأمريكيين على إطلاق سراح المزيد من فائض الغذاء من

(١) المجتمع (٦٢٣/ ٣٨).
(٢) مجلة المجتمع (٦٢٦/ ٣٢).

مستودعات الحكومة الاتحادية. وقد كان يوم أمس ١٤ يوليو ذروة أعمال الاحتجاج هذه وهو يوم يوافق عيد الاستقلال في أمريكا»[١].

ثم إن مجلة المجتمع تنقل لنا حالة الفقر في أوربا التي أصبحت في وضع لا تحسد عليه من الفقر فتقول: «النظام الرأسمالي القائم على الجشع المادي وسيطرة القويّ على الضعيف، والغني على الفقير أفرز ملايين الفقراء الذين يعيشون في فقر مدقع، وقد ناقشت موضوع الفقر في أوربا «ندوة أوربية انعقدت مؤخرًا في مدينة «كومو» بشمال إيطاليا.. وقال مصدر في إدارة الندوة: إن عدد الفقراء في أوربا الآن يزيد عن ٣٠ مليون فقير يعيشون دون مستوى المتوسط، ويعيش قسم كبير منهم في حالة فقر مدقع قريب من الحرمان»[٢].

كما نشرت المجتمع في عدد آخر مقالاً بعنوان «العالم يموت والقمح الأمريكي في البحر»، قالت فيه: « بينما يموت سنويًّا في العالم ما يقرب من خمسين مليون شخص هلاكًا من الجوع ونقص المواد الغذائية خاصة في دول العالم الثالث، وبالتحديد في الدول الإسلامية الإفريقية وفي شرق آسيا، نجد في الجانب الآخر أمريكا بلد الحضارة والوجه التكنولوجي المتطور والتي تشتهر بتمثال الحرية وتدّعي المساواة، وإذ بها ترمي فائض القمح سنويًّا وبآلاف بل بملايين الأطنان في المحيطات، كل ذلك وهي لا تفكر بأدنى مساعدة تقدمها لتلك الدول المحتاجة، وكل ذلك إنما تفعله لحرصها على ثبات سعر القمح، ولكي لا تنخفض أسعاره»[٣].

---

(١) المجتمع (٦٢٨/ ٢٩).
(٢) المجتمع (٦٢٨/ ٢٩).
(٣) المجتمع (٢٠/ ٢٨).

* حضارة الخمور ومدمني الخمور:

الخمر التي حرمتها الشرائع أصبحت علامة بارزة في حياة أهل الغرب، حاجتهم إليها أشد من حاجتهم إلى الماء.

في أمريكا في الأربعينيات عدد مدمني الخمر سنويًّا (١, ٤٢) مليون.

لك أن تتصور أعمار مدمني المسكرات في أمريكا تبلغ أعمارهم سبع سنين كما روت صحيفة الديلي تلغراف، وفي بريطانيا أعمار مدمني المسكرات في بعض الحالات ثلاثة عشر عامًا.

* في بريطانيا:

الشعب البريطاني اليوم على شرف السقوط في هاوية لا خلاص له منها.

وقد أعطت مجلة «الطبيب العام» في العدد ١٢٣١ الصادر في شهر يناير ١٩٧١ أرقامًا مذهلة عن مدى استهلاك الإنجليز للكحول، تظهر فيها الزيادة العظيمة في استهلاك الكحول في الفترة ما بين ١٩٣٨ ـ ١٩٦٩م كما يلي:

١ ـ	البيرة سنة ١٩٣٨م	٢٥ مليون برميل
	وفي سنة ١٩٦٩م	٣٣,٣٩ مليون برميل
٢ ـ	النبيذ سنة ١٩٣٨م	٢٢ مليون جالون
	وفي سنة ١٩٦٩م	٤٤,٨٨ مليون جالون
٣ ـ	الكحول (عرق وغيره) سنة ١٩٣٨م	١٠ مليون جالون
	وفي سنة ١٩٦٩م	١٧,٥٤ مليون جالون

وهذه الكمية الكبيرة تعني استهلاك وإهدار أكثر من ٩٠٠ مليون جنيه إسترليني سنويًّا.

* أمريكا تستغيث من الخمر:

❑ تقول الإحصائيات الرسمية في السبعينات: إن عدد الذين يتعاطون الخمر من ٩٦ ـ ٩٧ مليون نسمة، وفي هذه الصناعة يعمل ١,٩ مليون نسمة أي ٢,٤٪ من العمال الأمريكيين.

❑ تقول مجلة التايمز الأمريكية: «لقد أصبح الإدمان مشكلة كبيرة ينهش المجتمع بسرعة كبيرة، ولقد تنبهت الحكومة لهذه المشكلة، ولذلك شُكِّلت لجنة حكومية خاصة مهمتها إجراء البحوث على الكحول وبعد الدراسات خرجت اللجنة بما يلي:

١ ـ يوجد ٩٥ مليون مدمن في الولايات المتحدة.

٢ ـ إن استهلاك الخمور زاد بنسبة ٢٦٪ ما بين ١٩٦٠ ـ ١٩٧٠م.

٣ ـ الإدمان أصبح أكبر مشكلة صحية تواجه البلاد بعد أمراض القلب والسرطان، فقد بلغ عدد الذين ماتوا بسبب تلف الكبد الناتج عن الإسراف في الشرب ١٣ ألفًا.

٤ ـ يتسبب الخمر في إحداث نصف الجرائم في الولايات المتحدة.

٥ ـ الأزواج المدمنون معرضون للطلاق أكثر سبع مرات من الأشخاص العاديين.

٦ ـ على الأقل نصف حوادث السيارات التي تؤدي إلى الموت، والتي بلغ عددها ٥٥,٥٠٠ حالة موت كانت ناتجة عن سُكر السائق، أو المشاة، أقيم ٧٥٠٠ مركز لمكافحة الإدمان، ولقد وصلت تكاليف هذه

المراكز حوالي ١٩٤ مليون دولار».

❑ ويقول الدكتور «سيدلي كاي» في كتابه «علم السموم»: «إن الخمر هي السبب المباشر وغير المباشر في ٥٠٪ من مجموع حالات الوفاة التي نفحصها بمعمل الطب الشرعي بولاية فرجينيا بالولايات المتحدة».

❑ ويقول «دوثر» أحد المختصين في أمريكا: «إن الصناعة الأمريكية تخسر سنويًّا ما يعادل ٨ ـ ١٠ بلايين دولارًا بسبب الإدمان.

✍ تفيد الإحصائيات العامة في مستشفى مدينة بوسطن أن ٢٢٪ من الأطفال المولودين من أمهات مدمنات ولدوا مشوّهين. و٤٤٪ يتمتعون بذكاء أقل من غيرهم إضافة إلى إصابتهم بأمراض القلب والدورة الدموية[1].

✍ يسبب تناول الشعب الأمريكي للخمور خسائر لاقتصاد الولايات المتحدة تُقدر قيمتها بـ ٤٣ مليار دولار سنويًّا.

✍ أصبح الإدمان بين النساء في أمريكا مشكلة من المشاكل يصعب حلها. وأصبحت زوجات الرؤساء وكبار رجال الدولة من المدمنات وقصة «بيتي» زوجة الرئيس السابق «جيرالد فورد»، ودخولها مركز «لونغ بيتش» العسكري لمعالجة المدمنين في نيسان عام ١٩٧٧م. ودخلت «جوان كيندي» زوجة السيناتور إدوارد كيندي مركز سمثرز في نيويورك عام ١٩٧٦ بسبب إدمانها للمشروبات الكحولية.

✍ وتفيد الإحصائيات أن ٤٠٪ من المدمنات الأمريكيات هن ربات بيوت، و٢٠٪ بائعات في المتاجر، و٢٠٪ عاملات فنيات.

(١) المجتمع (٤٠٦/٩).

✍ ويؤكد الدكتور «ماكس غلات» أن المدمن يبدأ الشرب وهو في العشرين من عمره، وعند بلوغه الرابعة والأربعين يصبح عبداً للزجاجة.

✍ من بين ثلاثة مدمنين أمريكين نجد امرأة مدمنة إلا أن الدكتور «مارفين بلول» الرئيس الأسبق لجمعية المدمنين الأمريكين ينفي هذا الرقم، ويؤكد أن نصف المدمنين من النساء، أي أن عددهن ٥ ملايين.

* الشعب الألماني يدمن الخمور:

في استطلاع لمجلة شبيجل الألمانية تبين أن ٢٤٪ من الفتيات والفتيان في سن الثانية عشرة، و٤٢٪ من الفتيات والفتيان في سن الرابعة عشرة، و٥٣٪ من الفتيات والفتيان في السادسة عشرة يتعاطون البيرة والخمور بأنواعها المختلفة بشكل يومي ومنظم.

✍ ويقدر خبراء معهد «ماكس بلاك» لعلم النفس أن عدد مرضى الإدمان على الكحول في ألمانيا الغربية يتراوح بين ١,٢ ـ ١,٨ مليون نسمة من أصل ٦٠ مليون.

✍ ولقد بلغ عدد ضحايا المشروبات الكحولية من صغار الألمان الغربيين، ممن تتراوح أعمارهم بين ١٠ ـ ١٢ سنة غالبًا ما لا يقل عن مائة ألف.

✍ لقد ارتفع عدد المتسكعين العاطلين عن العمل في ألمانيا الاتحادية ما يقرب من ٨٠ ألفًا، وفي كولونيا يوجد ٣٥٠٠ متسكع يتجولون سكارى.

* في الفاتيكان:

زادت حالات الإدمان بين القساوسة ورجال الدين حتى أن الأب

«جوزيف ماكنمارا» رئيس رهبان الروح الأقدس في الفاتيكان وجه إنذارًا في هذا الصدد عند اجتماعه مع رؤساء الكنائس.

*** وفي إيطاليا:**

ينتشر الخمر بشكل ذريع وخاصة النبيذ الأحمر الخام وينتشر بينهم مرض «مار شيافاقا بيجنامي» الخطير بسبب تناولهم لهذا النبيذ، ويصاب معظم هؤلاء المرضى بالغيبوبة التامة خلال أشهر قلائل منذ بدء الأعراض ثم يتوفون[١].

*** فرنسا المدمنة:**

لا تكاد تجد بيتًا خاليًا من الخمر، وهو مقدم على الماء على المائدة.

✍ نقلت إحدى وكالات الأنباء عام ١٩٥٦م أن معهد الإحصاء القومي في فرنسا قرر أن الخمور بدأت تقتل من الفرنسيين أكثر مما يقتل مرض السل، وفي عام ١٩٥٥م مات ١٧ ألف فرنسي من الخمر بينما لم يمت من السل سوى ١٢ ألف فرنسي في نفس السنة[٢].

✍ «وفي فرنسا أيضًا أجريت إحصائية في إدمان النساء للخمور فتبيّن أن هناك امرأة واحدة من بين أربعة مدمنة للخمر مقابل امرأة من بين عشرين في سنة ١٩٦٠م» فما ظنك في عامنا هذا.

وجاء في الإحصائية أن نسبة الوفيات نتيجة إدمان الخمر قد ارتفعت في العشرين عامًا الماضية حتى أصبحت ثلاثة أضعاف ما كانت عليه من قبل.

---

(١) «الخمر بين الطب والفقه» للدكتور محمد علي البار ص(٨٣).

(٢) «المجتمع» (٦/ ٢٣).

* وفي كندا:

نشرت صحيفة «ستار فينكس» التي تصدر في «ساسكاتون» ثاني أكبر مدن «ساسكا جوان» في عددها ٢٨٤ للسنة الخامسة والسبعين بتاريخ ٢١ سبتمبر ١٩٧٧م مقالاً بعنوان «نصف طلبة المرحلة الثانية عشرة مصابون بآفة الخمر» جاء في هذا التقرير الذي قدمه مجموعة من الدكاترة والأساتذة أن نصف طلبة المرحلة ١٢ في «ساسكا جوان» مدمنون للخمر.

فأين ذهبت العقول؟ وأين ذهبت علومهم؟!!

* الغرب والمخدرات:

انخدع الناس بلمعان الحضارة الغربية وبريقها، حتى تعشقوها وتمسّكوا بأهدابها، وصار حجّهم إلى أوربا مقدم على حج البيت الحرام.

وأغرب من هذا أن يأتي رجل كبير في قومه يعتبرونه رائد الأدب العربي المعاصر فيقول: «إنه لا سبيل لنا في التقدم والرقي إلا اتباع الحضارة الغربية بجميع أمورها حسنها وسيئها حلوها ومرها» أي أن التقدم مرتبط بالسفور والخمور كارتباطه بالمخترعات، فهل من عاقل يصدق هذا؟! هذه واللّه خيانة ما بعدها خيانة.

الغرب اليوم يرزح تحت ضربات المخدرات والخمور الموجعة، وقد سقط في هاوية سحيقة، ولا يستطيع النهوض من كبوته.

✍ في أمريكا في الأربعينات عدد مدمني الخمر سنويًّا (٤٢,١) مليون.

✍ الذين يتعاطون المخدرات سنة ١٩٧٨م ٤٩٪ من الشعب الأمريكي.

✍ اكتشف مؤخرًا في بريطانيا أن عددًا كبيرًا من الآباء وبالذات

الأمهات يعطون أطفالهم مخدرات لم يسمح بها الأطباء. وقد اكتشفوا مؤخراً أن بعض الأطفال في مناطق سكنية معينة تخدرهم أمهاتهم كل ليلة حتى يناموا.

✍ وأكثر المخدرات انتشاراً في بريطانيا «الهيروين».

وقد كتب «ديف تيريز» وهو من اللجنة الدائمة لسوء استخدام المخدرات في لندن: «إن كثيراً ممن يتعاطون الهيروين تتعرض صحتهم لخطر بالغ عندما لا يستطيعون توفير جرعتهم اليومية، وإن كل مدمني الهيروين تقريبًا يموتون قبل أن يبلغوا الثلاثين»[1].

✍ يقول خبراء من أمريكا وإيطاليا: إنّ ٦٠٪ من الهيروين الذي يصل إلى الولايات المتحدة يجري تصنيعه في معامل تديرها «المافيا» في صقلية وتصل قيمة هذه التجارة إلى حوالي ٦ بليون دولار سنويًّا أي ٤٪ من مجموع الدخل القومي الإيطالي.

❑ قال أحد علماء النفس في أمريكا: «ليس لحياة الشباب الأمريكي هدف، فهم يعيشون مترفين، وكل شيء متوفر لهم، ليس هناك ما يشغلهم ويملأ فراغهم، فيتطلعون إلى شيء يملأ هذا الفراغ الهائل في حياتهم، فيتجهون للمخدرات والمسكرات»، وقال: «إنه لا يعتقد أن لهذه المشكلة أي حل، فإنها ستستمر حتى تفتك بشباب أمريكا».

✍ والفتيات في أمريكا يجمعن من الدعارة لينفقن على المخدرات.

✍ ومن الحقائق الملفتة للنظر من خلال الإحصائيات الجامعية أن نسبة المتعاطين للمخدرات ٥٢٪ في جامعة لوس أنجلوس[2].

---

(١) المجتمع (٥٨١/ ٣٤).

(٢) المجتمع (٩٨/ ٢٤).

✍ كما أجريت إحصائيات في المدارس من أدنى مرحلة إلى أعلاها في أمريكا فكانت النتائج في مدرسة ثانوية تضم ألف طالب أن ما بين ٧٠ ـ ٨٠٪ منهم قد جرّبوا المخدرات، وأن ما لا يقل عن ٥٪ من الطلبة مدمنين للمخدرات، علمًا بأن المدارس الثانوية لا تعادل شيئًا بالنسبة للجامعة[١].

✍ وبعد عشر سنين فقط جرى إحصاء مماثل فتبيّن أن ٦٠٪ من طلاب المدارس والمعاهد في لوس أنجلوس يتعاطون المخدرات مرتين أو ثلاثة مرات أسبوعيًّا[٢].

✍ وتبعًا للدراسات التي قام بها قسم الدراسات والأبحاث الاجتماعية في جامعة «يتسفن» فقد تبيّن أن نسبة تعاطي المخدرات عمومًا في أمريكا بلغت ١٩٪ عام ١٩٧٥، وفي عام ١٩٧٨ ارتفعت لتصبح ٤٩٪.

✍ وحتى الجيش الأمريكي سينهار حتمًا بسبب المخدرات:

فقد تبيّن أن الماريجوانا خاصة والمخدرات عامة انتشرت بين الجنود، أثناء حرب فيتنام، فقد بلغت نسبة مدمني هذا المخدر بين الجنود ٨٥٪[٣].

✍ وذكرت صحيفة التايمز البريطانية أن جنديًّا واحدًا على الأقل من القوات الأمريكية المرابطة في بريطانيا يطرد من الخدمة العسكرية يوميًّا

---

(١) المجتمع (٥٨/ ٣٠).
(٢) المجتمع (٦٠٢/ ٣٤).
(٣) المجتمع (٤٨/ ٣).

ويُعاد إلى بلاده بسبب تعاطيه المخدرات، وأضافت الصحيفة أن هؤلاء الجنود يعملون على أسلحة نووية[١] .

أي دمار نجنيه من وراء الغرب.. من يدري أن هذا الجندي المدمن قد يقتل الملايين من الناس، وهو لا يدري؟

✍ يصل عدد الذين يتعاطون المخدرات في أمريكا ٩٦ ـ ٩٧ مليون نسمة، وأنها تكلّف الاقتصاد الأمريكي خسارة تُقدّر بـ ١٥ مليار دولار في العام الواحد[٢]

✍ كوكايين، وهيروين وماريجوانا هكذا على الترتيب أشهر المخدرات في أمريكا، وفي ألمانيا ومن خلال إحصائية أعدها ثلاثة أطباء في مستشفى الأمراض العصبية الجامعي في بون، من استطلاع أجري بين الطلبة تبيّن أن واحدًا من كل خمسة طلاب يتعاطون المخدرات.

✍ ونختم كلامنا عن المخدرات بهذه الحقيقة المذهلة:

في تقرير اللجنة الدولية للمخدرات التابعة لهيئة الأمم المتحدة ذُكر أنه يوجد في العالم الآن ما يزيد عن ٣٠٠ مليون مدمن للحشيش، وهذا العدد يتركز بصورة خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا وأمريكا اللاتينية وبعض دول آسيا وأفريقيا[٣] .

* * *

(١) المجتمع (٦٦٤/ ٣٤).
(٢) المجتمع (١٥٧/ ٣٠).
(٣) المجتمع (٦٢٧/ ٣٢).

* الإباحية في الغرب:

أما الإباحية في الغرب فحدِّث عنها ولا حرج:

✍ ففي نيويورك (١٢٠٨٢٩) عملية إجهاض سنة ١٩٧٤م بنسبة (١١٣٨ : ١٠٠٠) إجهاض : ولادة و٦٧٪ من المجهضات غير متزوجات.

«ونقل المودودي ـ رحمه اللَّه ـ عن دائرة المعارف البريطانية أنه في الأربعينات كان ٩٠٪ من الشباب الأمريكي مصابًا بالزهري، و٦٠٪ من الشباب الأمريكي مصابًا بالسيلان، و٤٠٪ من الشباب الأمريكي مصابًا بالبرود الجنسي، وقد كنت أحتفظ في جيبي بصور لأحد الشباب الأمريكي عمره في الحادية والعشرين تزوج جدته!! وعمرها (٧٧) سنة، وعقدت لهما عقدهما الكنيسة في قرية قرب لوس أنجلس!!

وقد صرّح كيندي سنة ١٩٦٢م أن: ٨٥,٧٪ من الشباب الذين يتقدمون للجندية غير صالحين؛ لأن الشهوات التي غرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطبية ـ إن مستقبل أمريكا في خطر»[1].

✍ إن فرويد ومن ورائه الصهيونية العالمية واليهود السبب البعيد والقريب في تفجير الشذوذ الجنسي في أوربا وأمريكا.

✍ «نشرت جريدة: «أف ذي ورلد» تحت عنوان «نادي تبادل الزوجات أفجع أمريكا» ـ على لسان مندوب الصحيفة ـ: أن نادي «دع الزوجات يتبادلن» في «ساكرا منتو» عاصمة كاليفورنيا في تزايد، وقد أعلن مكتب النائب العام أن تبادل الزوجات ليس خروجًا على القانون،

(١) «الإسلام ومستقبل البشرية» للدكتور عبد اللَّه عزّام ص(٢٧ ـ ٢٨).

ولا مخالفًا لمادة من مواد العقوبات في ولاية كاليفورنيا»[١] .

✍ إن عدد الأطفال الذين يهربون من منازلهم سنويًّا مليون طفل، وأكثر من ربع هؤلاء لا يعودون إلى منازلهم أبدًا.

✍ تواجه السلطات في نيويورك والمدن الكبرى الأخرى مشكلة إيواء أكثر من ٢ مليون مشرد وصرّح عمدة مدينة «ليك سيتي» «بتزوبلسون» في كلمته أمام لجنة الكونجرس التي انعقدت بخصوص ظاهرة التشرد الحالية «أن البلاد تواجه كارثة قومية».

وهؤلاء المشردون إباحيون يجتمعون لتعاطي المخدرات والجنس الرخيص.

✍ في إيطاليا تمارس مهنة الدعارة مليون امرأة إيطالية[٢]

✍ في أمريكا عدد المراهقات التي احترفن الدعارة ٦٠٠,٠٠٠ مراهقة، وقد زادت نسبة الموقوفات من أجل الدعارة من الفتيات من ٢٤٪ ـ ٧٤٪ في العشر سنوات الماضية، وقد تألفت جمعيات نسائية تدافع عن البغايا كلما فكّرت حكومة ولاية من الولايات الأمريكية بالحد من نشاطهن. وامتد البغاء إلى الأطفال، فهناك تجارة واسعة وحرفة منظمة لشراء الأطفال من أجل البغاء.

❑ قال «جوزيف ريد»: هناك مأساة إنسانية حساسة خلف السوق السوداء لبيع الأطفال، والتي يباع فيها حوالي ٥٠٠٠ طفل سنويًّا بأسعار تتراوح ما بين ١٠ ـ ٢٥ ألف دولار وأكثر بائعي الأطفال هم المحامون،

---

(١) المجتمع (١٢٨/ ٢٥).
(٢) المجتمع (٦١٥/ ٣٢).

والمفروض فيهم الدفاع عن الحقوق الإنسانية.

✍ في تحقيقات بارعة نشرتها الديلي ميل عام ١٩٧٠ ذكرت أن الإحصائيات تدل على أن ما يقرب من ٨٠٪ من الرهبان والراهبات ورجال الكنيسة يمارسون الزنا، وأن ما يقرب من ٤٠٪ منهم يمارس الشذوذ الجنسي أيضًا.

✍ وقد أباحت كثير من الكنائس الغربية الزنا، كما أباحوا اللواط، وفي بعض الكنائس في أمريكا يتم قران الرجل على الرجل على يد القسيس.

✍ الكاردينال الفرنسي المشهور روتشيلو كان مصابًا بمرض الزهري، ونشرت مجلة «النيوزويك» في عددها الصادر في ١/ ٧/ ١٩٧٤ أن أحد كبار كرادلة فرنسا مات وهو في أحضان إحدى العاهرات في باريس.

وقد نشرت مذكرات إحدى العاهرات في فرنسا فجاء فيها أسماء ثلاثة بابوات وأحد عشر كاردينالاً[1].

✍ نشرت مجلة «نوفيل أوبسير فايتر» الفرنسية في عددها ١٦/ ١٢/ ٨٠م مقالاً مطولاً عن الدعارة والعهر المنتشر في فرنسا كصناعة متعددة الأشكال، فكان مما ذكرته أن الدعارة أصبحت توفر العمل لحوالي ٣٠ ألف فتاة، وتدر أرباحًا طائلة تحصل الدولة فيها على نصيب الأسد.

وبحديث الأرقام تصل مكاسب الدعارة السنوية إلى ثلاثة بلايين فرنك فرنسي في مدينة «بوردو» وحدها.

✍ وتكسب الدعارة سنويًّا بليون ونصف فرنك في مدينة

(١) المجتمع (٣٦/٦٤٨).

«جرينويل»، وفي مدينة مرسيليا تكسب ستة إلى سبعة بلايين فرنك. وفي منطقة «أزير» تكسب ثمانية بلايين.

✍ كولومبيا وتايلاند مصدر لتجارة الرقيق من الأطفال يُصدرون إلى أوربا والولايات المتحدة للأغراض الجنسية.

✍ أما اللقطاء ففي الدانمارك وصلت نسبة الأطفال اللقطاء إلى ٣١,٧٪ من مجموع الولادات في عام ١٩٨١.

✍ في سنة ١٩٧٥ بلغت نسبة ولادة غير المتزوجات إلى ٤٤٧,٩٠٠ حالة ولادة.

✍ في ألمانيا عام ١٩٧٣ كان نسبة الأطفال اللقطاء سبعة أطفال من كل مائة طفل.

✍ في عام ١٩٨١ ولد في فرنسا نحو ١٠٠ ألف طفل من أمهات عازبات ٢٠٪ منهم في المنطقة الباريسية.

✍ نشر مؤخراً تقرير خطير أعدته الحكومة الأمريكية حول نسبة أبناء السفاح في أمريكا. يقول التقرير: «بأنه بين كل ثلاث زيجات يكون الولد في واحدة منها من الأبناء غير الشرعيين، مع العلم بأن كثيراً من الزيجات في أمريكا تعقد بعد ولادة الولد الأول سفاحاً، ولا تحسب هذه من النسبة المذكورة[١].

✍ في السبعينات قامت الحكومة الأمريكية بإحصائية لمعرفة عدد اللقطاء عندهم، فذكرت مجلة «ويبر» الأمريكية أنه يوجد في أمريكا ١٠ ملايين لقيط[٢].

---

(١) المجتمع (١٠/ ١٤).

(٢) المجتمع (٢٠٩/ ١٢).

فإذا كان عدد سكان أمريكا ٢٠٠ مليون نسمة، فمعنى ذلك أن في كل ٢٠ شخص يوجد لقيط واحد. هذا في السبعينات!!

✍ نشرت جريدة الشرق الأوسط في عددها الصادر في ٦/ ١/ ١٩٨٠ مقالاً بعنوان «شيء للتفكير» للدكتور محمود زائد جاء فيه:

«أن عدد اللواتي يلدن سفاحًا في سن المراهقة في الولايات المتحدة لا يقل عن ٦٠٠ ألف فتاة سنويًا بينهن أكثر من ١٠ آلاف فتاة دون سن الرابعة عشرة، وإن إجمالي عدد اللواتي يلدن سفاحًا في سن المراهقة وغيرها أكثر من مليون امرأة سنويًا، وذلك في الولايات المتحدة فقط حسب إحصائيات عام ١٩٧٩.

✍ بعد صدور قرار المحكمة العليا الأمريكية بإباحة الإجهاض بعشر سنوات اعترف ريغان بأنه أزهقت أرواح أكثر من ١٥ مليون طفل لم يتح لهم أن يولدوا، وهو يعادل عشرة أمثال الأمريكيين الذين لقوا حتفهم في جميع الحروب التي خاضتها الولايات المتحدة الأمريكية[1].

✍ في أمريكا بلغت نسبة الحبالى من تلميذات المدارس الثانوية في إحدى المدن ٤٨٪ حسب إحصاء في مدينة «تفر» عاصمة «كولورادو».

وفيها أصدرت التعليمات إلى جميع مدارس نيويورك بإنشاء غرفة ولادة في كل مدرسة، على أن يدرب اثنان من موظفي المدرسة على أعمال التوليد ريثما يستدعى الطبيب المختص.

وقد بلغ عدد الطالبات الحوامل دون زواج في مدارس نيويورك

---

(١) المجتمع (٦٣٥/ ٣٥).

وحدها ٢٤٨٧ حاملاً عام ١٩٦٩.

وقد صرّح كيندي عام ١٩٦٣ بأن مستقبل أمريكا في خطر[١].

✍ كيف تقوم لهذه الحضارة قائمة، وفيها حفلات الجنس الجماعي، ونوادي العراة، وكتب ومجلات الجنس الفاضح وسينما الجنس الرخيص الصارخ، والاغتصاب حتى في داخل الكنائس، وزنا الرجل بابنته؟ والكثير من الرجال لا يعرف أبناءه فقد قضى شهوته من الزنا، ثم يغادر بعد ذلك المرأة ليتركها مع ابنتها، والتي قد يلقاها بعد ذلك ولا يعرف أنها ابنته فيسافحها.. كيف لا تسقط مدنية مثل هذه؟ واللّه إن قوم لوط ليترفعون عن مثل هذا.

✍ في خبر من هيئة الأمم المتحدة نقلته وكالة « آب » يوم ١٩/ ١١/ ١٩٨١ قالت مندوبة الولايات المتحدة الأمريكية واسمها «كركبارتريك» أنها وجدت أن المنظمة الدولية متعفنة جنسيًّا أكثر من أي مكان آخر عرفته[٢].

✍ في الثمانينات بلغت نسبة من يعترفن بالخيانة الزوجية إلى واحدة من كل ١١ امرأة متزوجة[٣].

ونسبة من تمارس السحاق والشذوذ الجنسي بين النساء المتزوجات الأمريكيات إلى ٢٥٪ فما نسبتهن في عام ٢٠٠١م؟!

✍ أصيب مليون أمريكي بالسيلان سنة ١٩٧٥ كما ورد في الكتاب

---

(١) المجتمع (٣٨٧/ ٣٩).
(٢) المجتمع (٥٥٢/ ٤٤).
(٣) المجتمع (٣١٠/ ٤٢).

السنوي الموجز الإحصائي للولايات المتحدة لعام ١٩٧٧ .

✍والقوباء المرض التناسلي القاتل والمميت يوجد ٢٠ مليون أمريكي مصابون بهذا المرض[١] .

✍ومرض الهربس التناسلي السلعة الأمريكية القبيحة المقززة، وهي قاتلة. وقد ارتفعت معدلات العدوى به في الثمانينات إلى ٢٠ مليون. . فما ظنك بالعدد في سنة ٢٠٠٠؟

هذا وجه حضارة الغرب القبيحة. . تطل علينا بوجه المومسات والبغايا وأندية العري والشذوذ وحفلات الجنس الجماعي وتبادل الزوجات ونكاح المحارم. . واللَّه إن هذه الحضارة إلى الزوال فهي ضد النواميس والسنن، وضد الفطرة ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ .

أمريكا الساقطة المنهارة من الداخل

أصدق شيء أن يكتب الأمريكيون أنفسهم عن سقوط حضارتهم وبالأرقام. . ولقد صدرت في ذلك مجموعة من الكتب من أهمها:

الكتاب الأول: كتاب «يوم أن أعترفت أمريكا بالحقيقة» لمؤلفَيْه: جيمس باترسون وبيتر كيم «صدر هذا الكتاب في عام ١٩٩١ م عن دار Plume Book للنشر في مدينة نيويورك ويقع في مائتين وسبعين صفحة، وفيه مقدمة وعشرة فصول، وخاتمة وترجمه إلى العربية دكتور محمد ابن سعود البشر، والكتاب دراسة علمية أجراها الباحثان تناولت واقع

(١) المجتمع (٣٩٠/٤٧).

المجتمع الأمريكي في كل مجالاته الدينية، والسياسية، والثقافية، والاقتصادية، والإعلامية، وشملت عينة كبيرة من المواطنين الأمريكيين، فهو إذن حقائق علمية تعبّر عن وجهة نظر المواطن الأمريكي نفسه.

* ومن هذه الحقائق المهولة:

✍ إن الأمريكان لا يثقون بقيادتهم الدينية أو السياسية، فهؤلاء القادة يكذبون، ويتحرون الكذب.

✍ إن الغالبية العظمى من الأمريكيين (نسبة ٩٣٪) يقولون: إن الناس أنفسهم يقرّرون الشيء الأخلاقي في حياتهم، ٨٤٪ منهم قالوا: إنهم على استعداد لمعارضة تعاليم الديانة المصرية، ونسبة ٨١٪ منهم قد خالفوا فعلاً بعض التعاليم الدينية؛ لأنها خاطئة من وجهة نظرهم. وقال بعض من شملتهم عينة هذه الدراسة إن سلطتهم الشخصية وإرادتهم وأهواءهم هي أعلى من سلطة الإله.

* الكذابون الأمريكيون:

نسبة ٩١٪ من الذين شملتهم الدراسة قالوا: إن الكذب أصبح عادة وسلوكًا مألوفًا في حياتهم اليومية، ونسبة واحد إلى خمسة اعترفوا بأنه ليس في استطاعتهم الصبر عن الكذب ولو يومًا واحدًا. وحديثنا هنا هو حول الكذب المتعمَّد.

✍ نسبة ٣١٪ من الأمريكيين المتزوجين لهم علاقات جنسية غير مشروعة، و٦٢٪ من الأمريكيين يعتقدون أن العلاقة الجنسية مع شخص آخر غير الزوج أو الزوجة مباحة.

✍ معدلات الانتحار بين الشباب الأمريكي الذكور أكثر من

معدلات الانتحار في أوربا الغربية بعشرين ضعفًا، وأكثر منها في اليابان بأربعين ضعفًا.

✍ معدلات الاغتصاب في أمريكا تزيد عن مثيلاتها في اليابان وانجلترا وأسبانيا بعشرين ضعفًا.

✍ الأرقام الحقيقية للجريمة في أمريكا تزيد بنسبة ٦٠٠٪ على إحصاءات الجريمة المسجلة رسميًّا لدى الجهات المختصة.

✍ ٦٠٪ من الشعب الأمريكي كانوا ضحية للجريمة في حياتهم، وأكثر من ٢٥٠٠٠ جريمة قتل تحدث سنويًّا في أمريكا. ٣٢٪ من الأمريكيين يشعرون بالخوف من جيرانهم.

✍ نسبة واحد من كل سبعة أمريكيين قد تعرّض للاعتداء الجنسي في طفولته. وكثير من الفتيات الأمريكيات يفقدن بكارتهن قبل سن الثالثة عشرة. ونسبة ٢٠٪ من النساء يتعرضن للاغتصاب من أصدقائهن.

✍ نسبة ٦٠٪ من الأمريكيين يقولون: إن اليابان ستملك أمريكا في القرن القادم.

الكتاب الثاني: «نحن القوة الأولى: أين تقف أمريكا وأين تسقط في النظام العالمي الجديد» لأندرو شابيرو صدر عام ١٩٩٢ وهو كتاب هزّ المجتمع الأمريكي بقوّة أيقظته بفزع من الأحلام النرجسية التي بناها الأمريكيون على أثر انتصارهم في حرب الخليج سنة ١٩٩١، وسقوط الشيوعية بسقوط الاتحاد السوفيتي في العام ذاته.

❑ يقول المؤلف: «ولأن اقتصادنا ينهار، والعناية الصحية أصبحت قضية خطيرة في مجتمعنا، وثقتنا في الحكومة والقادة السياسيين بدأت

تتلاشى، فإن الشعب الأمريكي بدأ الآن يتساءل: هل لا تزال الولايات المتحدة القوة الأولى حقيقة؟».

ثم يجيب المؤلف على هذا السؤال ويقول: الحقيقة هي أننا القوة الأولى، ولكن ليس بالطريقة التي يريد السياسيون والخبراء أن نفكر بها. إن الولايات المتحدة ـ على سبيل المثال ـ هي الدولة الأولى التي تضم عدد كبيراً من المليونيرات، وأصحاب الأموال في العالم، لكن أمريكا ـ أيضًا ـ هي الدولة الأولى التي يعيش أكبر عدد من أطفالها فقراً مدقعًا من بين تسع عشرة دولة صناعية، الولايات المتحدة تحتل المرتبة الأولى أيضًا في الإنفاق على الشئون الصحية، لكنها الأولى في عدد الوفيات والموت الجماعي للأطفال الرُّضّع، الولايات المتحدة دولة غنية، وفقيرة في الوقت ذاته، متقدمة طبيًّا لكن الشعب يعاني من أمراض مزمنة، متقدمة علميًّا لكن الشعب ليس مثقفًا!! وباختصار فإن كثيراً من الشعارات التي نرفعها تناقض حقيقتنا وواقعنا.

✍ وهذا الكتاب يشير إلى الأخطار التي تعصف بالولايات المتحدة ولا نزال نتجاهلها؛ لأننا نعيش نشوة الانتصار العالمي التي من شأنها أن تحجب الحقيقة التي يعيشها المجتمع الأمريكي.

وتعال إلى لغة الأرقام..

✍ إن الولايات المتحدة تضم أكبر نسبة من الأطفال الذين يعانون من الفقر، ويعيشون حياة اقتصادية متردية للغاية من بين الدول الصناعية الرئيسية، نسبة واحد إلى خمسة (١/ ٥) من الأطفال الأمريكيين، ونسبة واحد إلى عشرة (١/ ١٠) من المواطنين البالغين يعيشون في فقر مدقع،

من بين هؤلاء الأطفال نسبة ٤٣,٢٪ من الأطفال السود.

✍ وهناك ما يقارب من ثلاثة ملايين أمريكي لا يجدون لهم سكنًا.

✍ هناك ما يُقارب من ٢٧ مليون أمريكي تنطبق عليهم مواصفات الأمية. وهؤلاء الأميون لا يستطيعون تدريس أطفالهم أو يفهمون إشارات المرور في الشوارع، ولا يستطيعون قراءة البيانات المتعلقة بطلبات التوظيف، هذا بالإضافة إلى ٤٠ مليون أمريكي من ذوي الأعمار المتوسطة يجدون صعوبة بالغة في قراءة الصحف أو الوثائق الرسمية.

✍ مجتمع الولايات المتحدة من أكثر المجتمعات عنفًا وقسوة على وجه الأرض.

❑ يقول هنري وادز ورث: «إن الشباب يأتي مرة واحدة في العمر». أما بالنسبة للآلاف من الأطفال الأمريكيين، فإن الشباب لا يأتي مطلقًا، بل يُسرق بكل عنف وقسوة. إن ما يقرب من ثلاثة أرباع حالات وفاة الأطفال في أمريكا سببها القتل أو جرائم العنف الأخرى.

✍ إن واحدة من كل عشر فتيات أمريكيات بين سن الخامسة عشرة والتاسعة عشرة تصاب بأعراض الحمل نتيجة الممارسة الجنسية غير المشروعة.

✍ الأولى في الإيدز هي الولايات المتحدة.

الكتاب الثالث: «السقوط التراجيدي.. أمريكا عام ٢٠٢٠م» تأليف الجنرال المتقاعد: هاميلتون هوز قائد السلاح الجوي الأمريكي السابق، وقائد قوات الأمم المتحدة في كوريا سابقًا، ومستشار بوزارة الدفاع الأمريكية، وصدر هذا الكتاب في آخر سنة ١٩٩٢ ميلادية.

✍ يقول: ظواهر كثيرة لا نستطيع حصرها فضلاً عن مناقشتها، وكلها تدل على أن المجتمع الأمريكي يسير نحو الهاوية.

✍ في عام ١٩٩٢ قاربت ديون الولايات المتحدة ما مجموعه ٤٠٠٠ بليون دولار، أي مليون مليون دولار.

وإذا ما استمرت هذه الزيادة بمعدلاتها الحالية فإن ديون الولايات المتحدة ستصل إلى ما مجموعه ١٠,٢ تريليون دولار قبل حلول عام ٢٠٢٠م، وهي إشارة تدل على جسامة الأزمة التي سيمر بها الاقتصاد الأمريكي، والتي ستجعل من الولايات المتحدة دولة هزيلة ضعيفة.

✍ ويختم الجنرال هاميلتون هوز كتابه بالفصل الذي حمل عنوان الكتاب، ويعرض فيه رأيه بايجاز عن الوضع السياسي والاقتصادي، والاجتماعي للولايات المتحدة في عام ٢٠٢٠م.

❑ يقول: لقد رسمتُ صورة كئيبة ومحزنة لأمريكا من خلال فصول هذا الكتاب.. ولستُ الوحيد في الميدان الذي يقول: إن الولايات المتحدة تمرّ بوضع محرج وخطير في تاريخها، وأجد نفسي مضطرًا لأن أُردِّد ما قاله آرثر كروك: «يساورني خوف شديد من أنّ فترة سيادة الولايات المتحدة وبروزها كقوة عظمى ووحيدة في العالم ستكون من أقصر الفترات في التاريخ»، ويقول لورانس جولد: «أنا لا أعتقد أن الخطر الأكبر الذي يهدّد مستقبلنا يتمثّل في القنابل النووية أو الصواريخ الموجّهة آليًّا، ولا أعتقد أن نهاية حضارتنا ستكون بهذه الطريقة، إن الحضارة الأمريكية ستزول عندما نكون عديمي الاهتمام وغير مبالين، وعندما تموت العزيمة على إبقاء الشرف والأخلاق في قلوب الرجال، وما قاله أرنولد تونبي ـ أيضًا ـ في تأكيده على أن: «معظم الحضارات التي عرفها الإنسان قد سقطت من الداخل، ولم تسقط لأن قوى خارجية استولت عليها».

إن الولايات المتحدة الآن تعيش في حالة غير طبيعية من الاشمئزاز والقرف وخيبة الأمل، وليس السبب في هذا كله الحكومة وحدها؛ بل الشعب ـ أيضًا ـ أسهم وبشكل كبير في هذا الانحدار الخطير. إنه سقوط ولكن من نوع آخر!!!

✍ ونختم بما يشير إلى هذا التصدع الكبير والانهيار الذي لا مثيل له بأن نسبة كبيرة من استطلاع الرأي (٢٩٪) يقولون: إنه في كثير من الأوقات يخالجهم شعور بأنهم دجّالون ومحتالون ومنافقون، ومعنى هذا أن هناك تقريبًا ثمانون مليون دجّال ومنافق ومحتال في أمريكا»[1].

✍ وأشد من هذا الخطاب الذي أرسله بيل كلينتون إلى المظاهرة التي اشترك فيها أكثر من مليون أمريكي أمام البيت الأبيض في ٢٦ من شهر أبريل سنة ١٩٩٣م للشاذين جنسيًّا، وقال: «إني أُؤيد الكفاح من أجل المساواة بين كل فئات الشعب الأمريكي بما فيهم الشاذون جنسيًّا من الرجال والنساء». مدنية مثل هذه ستذهب حتمًا إلى مزابل التاريخ ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص: ٨٨].

* شهود عقلائهم بسقوط حضارتهم:

حضارة مثل حضارة الغرب هذه تحمل بذور فنائها معها.. ويشهد بنهايتها من هو من جلدتهم.

❑ فها هو الكاتب «جيمس جي كيلتريك» يقول: «كثير من الفضائل القديمة كما يسمونها كالطهارة والعفّة والشفقة وكبح النفس عن

(١) «السقوط من الداخل» ـ ترجمة ودراسات في المجتمع الأمريكي للدكتور محمد بن سعود البشر ـ دار العاصمة.

الشهوة الجنسية بخاصة، فقدت مكانتها من الاحترام التي كانت تحتلها في الأخلاق الأمريكية، وفي مقابل هذه الفضائل أو القيم استبدل المجتمع الأمريكي قيمًا أخرى، أو أصبح بلا قيم»، ويختم الكاتب مقاله بقوله: «ليس واحد من هذه التغييرات الضرورية دليلاً على دنوّ شمس الإمبراطورية الأمريكية على الغروب، ولكنها بلغة القدماء أبطأ مما كنا نظن».

✍ وانظر إلى النذر والصيحات بقرب سقوط حضارة الغرب، وقد أُلفت في ذلك الكتب الكثيرة مثل كتاب «سقوط الحضارة» لكولن ولسن، و«تدهور الغرب» لاشبنجلر و«رواية الساعة الخامسة والعشرون» للروسي «كونستيان جيورجو»[1].

✍ وقد ألقى المفكر الروسي «سولجنتسين» بعد طرده من روسيا خطبة في جامعة هارفورد في الولايات المتحدة الأمريكية، وبيّن لهم عوار حضارتهم صراحة كما سبق له أن نقد الشيوعية وبيّن عوارها.

✍ من الذين كتبوا أيضًا في بيان سقوط الحضارة الغربية «دالاس» وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية السابق في كتابه المشهور «حرب أم سلام».

✍ **أخي:**

هل وجد الغرب سعادته؟ هل وجد الطمأنينة؟ هل وجد السلام؟ كلا.

لقد وجد الشقاء والقلق والخوف.. والأمراض العصبية والنفسية، والشذوذ والجريمة على أوسع نطاق.

---

(١) المجتمع (٢٦٧/ ٤٣).

✍ وحين تُقاس غاية الوجود الإنساني، وأهداف الحياة الإنسانية في ذهن الرجل المعاصر إلى التصور الإسلامي في هذا الجانب تبدو هذه الحضارة في غاية القزامة! بل تبدو لعنة تحطّ من تصور الإنسان لنفسه ومقامه في هذا الوجود، وتسفل به، وتصغّر من اهتماماته وأشواقه! والخواء يأكل قلب البشرية المكدود، والحيرة تهزّ روحها المتعبة.. إنها لا تجد اللَّه.. لقد أبعدتها عنه ملابسات نكدة.

✍ العلم الذي كان من شأنه ـ لو سار تحت منهج اللَّه ـ أن يجعل من كل انتصار للبشرية في ميدانه خطوة تقربها من اللَّه، هو ذاته الذي تبعد به البشرية أشواطًا بسبب انطماس روحها ونكستها.. إنها لا تجد النور الذي يكشف لها غاية وجودها الحقيقية، ولا تجد المنهج الذي ينسِّق بين طاقاتها وقواها، وآخرتها ودنياها.

✍ إننا نرى واقع البشرية النَّكد، ونشم رائحة المستنقع الآسن الذي تتمرّغ فيه. ونرى هنالك على الأفق الصاعد راية النجاة تلوح للمكدودين في هجير الصحراء المحرق، والمرتقى الوضيء النظيف يلوح للغارقين في المستنقع، ونرى أن قيادة البشرية إن لم تُردّ إلى هذا المنهج فهي في طريقها إلى الارتكاس الشائن لكل تاريخ الإنسان، ولكل معنى من معاني الإنسان.

* الحضارة الغربية بدّلت نعمة الله كفرًا وهذه عاقبتها المنكودة:

مزالق ومزالق هي حضارة الغرب، لا تطمئن لنور اللَّه، وكفرت وبدّلت نعمة اللَّه فأصابها العقاب الشديد في حياتها على الأرض وعقاب

الآخرة أشد وأنكى. وها هي ذي حضارة الغرب المنكودة الطالع تعاني العقاب الشديد، وتجد الشقوة النكدة، وتعاني القلق والحيرة، ويأكل بعضها بعضًا، ويأكل الفرد منها نفسه وأعصابه، ويطاردها وتطارده بالأشباح المطلقة، وبالخواء القاتل الذي يحاول المتحضرون أن يملئوه تارة بالمسكرات والمخدرات، وتارة بالحركات الحائرة التي يُخيّل إليك معها أنهم هاربون تطاردهم الأشباح!

ونظرة إلى رقصاتهم المجنونة، وأغانيهم المحمومة، وأوضاعهم المتكلفة وأزيائهم الصارخة وبعض الحفلات والمناسبات، ومحاولة لفت النظر بالشذوذ الصارخ، أو ترضية المزاج بالتميّز الفاضح..

ونظرة إلى صورهم في الأوضاع العجيبة المتكلّفة التي يظهرون بها: من مائلة برأسها، إلى كاشفة عن صدرها، إلى رافعة ذيلها، إلى مبتدعة قبعة غريبة على هيئة حيوان؛ إلى واضع رباط عنق رسم عليه تيتل أو فيل! إلى لابس قميص تربّعت عليه صورة أسد أو دُبّ كل ذلك يكشف عن الحيرة القاتلة التي لا طمأنينة فيها ولا سلام، ويكشف عن حالة الملل الجاثم التي يفرون منها، وعن حالة الهروب من أنفسهم الخاوية وأرواحهم الموحشة، كالذي تطارده الجنّة والأشباح.

* وصدق اللَّه تعالى إذ يقول: ﴿**وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾.

* وصدق اللَّه تعالى إذ يقول: ﴿**أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ**﴾ [آل عمران: ٨٣].

الفطرة البشرية في أصلها متناسقة مع ناموس الكون، مُسْلِمة لربها

إسلام كل شيء، فحين يخرج الإنسان بنظام حياته عن ذلك الناموس لا يصطدم مع الكون فحسب، إنما يصطدم أولاً بفطرته التي بين جنبيه فيشقى ويتمزق، ويحتار ويقلق، ويحيا كما تحيا البشرية النكدة الضالة اليوم في عذاب من هذا الجانب ـ على الرغم من جميع الانتصارات العلمية، وجميع التسهيلات الحضارية المادية!

✍ إن البشرية اليوم تعاني من الخواء المرير: خواء الروح من الحقيقة التي لا تطيق فطرتها أن تصبر عليها. . حقيقة الإيمان، وخواء حياتها من المنهج الإلهي.

إنها تعاني من الهجير المحرق الذي تعيش فيه بعيداً عن ذلك الظل الوارف الندىّ، ومن الفساد المقلق الذي تتمرّغ فيه بعيداً عن ذلك الخط القويم والطريق المأنوس المطروق!

ومن ثمّ تجد الشقاء والقلق والحيرة والاضطراب، وتحس الخواء والجوع والحرمان، وتهرب من واقعها هذا بالأفيون والحشيش والمسكرات، وبالسرعة المجنونة والمغامرات الحمقاء، والشذوذ في الحركة واللبس والطعام!

إن هذا الخواء المرير ليطارد البشرية كالشبح المخيف. . يطاردها فتهرب منه. ولكنها تنتهي كذلك إلى الخواء المرير!

وما من أحد يزور هذه البلاد الغنية الثرية حتى يكون الانطباع الأول في حسّه أن هؤلاء قوم هاربون! هاربون من أشباح تطاردهم، هاربون من ذوات أنفسهم، وسرعان ما يتكشّف الرخاء المادي والمتاع الحسي ـ الذي يصل إلى حد التمرّغ في الوحل ـ عن الأمراض النفسية والشذوذ والقلق والمرض والجنون والمخدرات والمسكرات والجريمة وفراغ

الحياة من كل تصور كريم!

✍ إنهم لا يجدون أنفسهم؛ لأنهم لا يجدون غاية وجودهم الحقيقية.. إنهم لا يجدون سعادتهم؛ لأنهم لا يجدون اللَّه الذي إليه يرجعون.

✍ هؤلاء مهددون في كينونتهم الإنسانية.

هؤلاء الحيارى سجناء في قفص من «العلم» يشدّ أقدامهم بالأغلال، فإذا أرادوا الوثوب، كان أقصى وثبتهم قفزة في داخل القفص!، أو سجناء في قفص من «الواقع» يعجزهم عن الاستشراف لما وراءه!

✍ قامت الماركسية على جهالة عميقة بالنفس البشرية وطبيعتها وتاريخها، فضلاً عن الجهالة العميقة بالحقيقة الكونية، وتفسير الكون والحياة، وتحطمت نظريتها العلمية تحت مطارق الفطرة وسقطت في مزبلة التاريخ.

✍ والحضارة الغربية حضارة منبتة عن اللَّه، وعن منهجه.

إنه فصام نكِد، وخواء ينخر في هذه الحضارة.. الخواء الذي تختنق فيه روح الإنسان، وتنهدر فيه قيمة الإنسان، وتنحدر فيه خصائص الإنسان.

✍ إنه الشقاء كل الشقاء أن يصير الإنسان وقودًا للآلة، وعبدًا لها، وتابعًا ذليلاً من توابعها.

✍ إذا رأيناه يهبط في علاقاته الجنسية إلى أدنأ من درك البهيمة.

✍ إذا رأيناه يشقى ويقلق ويتحيّر، ويعاني من القلق والحيرة ما لم

يعانه قط في تاريخه من الشقاء والتعاسة والأمراض العصبية والنفسية والشذوذ والعته والجنون والجريمة.

✍ إذا رأيناه هاربًا من نفسه، ومن المخاوف والقلاقل التي تلفه بها الحضارة المادية.

✍ إذا رأيناه هائمًا على وجهه، يقتل سآمته وملله، بما يقتل به روحه وجسمه وأعصابه من المكيفات والخمور، أو ما يشبه المكيفات والخمور من الأفكار السود، ومذاهب اليأس الكابي والقنوط المبلس والضياع الأليم، كما في «الوجودية» وغيرها من مذاهب الفكر التعيسة.

✍ إذا رأيناه يئد نسله، أو يبيع أولاده، ليشتري بهم ثلاجات وغسالات كهربائية.

انحدار وشقاء وتعاسة.

انتهى دور الرجل الأبيض بعد أن ذاق من المتاع الحسي وكل ضروب المتاع ما ذاق، وأضحت به فاقة لا يسدها الطعام، ولا يرويها الشراب، ولا يكفيها الكساء، فاقة إلى عالم أكبر من المحسوس، ومجال أكبر من الحياة الدنيا، فاقة إلى الوئام بين ضميره وواقعه، وئام بين منهج حركته ومنهج حركة الكون من حوله.. فاقة إلى اللَّه.

✍ إن هذه الحضارة تدلف إلى الهاوية، مقودة بسلاسل هذه المادية البرّاقة، وهي في كل لحظة تقترب من الهوة الرعيبة، ولا منقذ لها إلا الإسلام الذي يحاربه أعداء البشرية في كل مكان على وجه الأرض.

✍ هذه الحضارة اللادينية الفتّانة تجلب فتنًا وتعيد اللات والعزى إلى أرضنا في ثوب جديد.. إن القلب يعمى بتأثير سحرها، وإن الروح

تموت عطشًا في سرابها، إنها تقضي على طهارة القلب، بل إنها تنزع القلب من القالب، إنها لص قد تمرّن على اللصوصية، فيُغير نهارًا وجهارًا، إنها تدع الإنسان لا روح فيه ولا قيمة له.

لم يكن في ربوعها من يُمثل دور موسى فيتشرف بالكلام، ولا مثل إبراهيم فيحطم الأصنام، ويحول النار إلى برد وسلام.

إنها حضارة لا شأن لها إلا «بالمعدة والبطن»، وديانة ماركس مؤسسة على مساواة البطون.. أجسام ناضرة وقلوب مظلمة فاجرة كافرة إن هذه الحضارة التي أشرفت على الموت لا تستطيع أن تحيي غيرها. وكذلك دعاة التنوير الذين جاءوا إلى بلادنا بأكواب فارغة، وبضاعة مزجاة في العلم والفكر.

إن البحث عن برق جديد في هذا السحاب عبث وإضاعة وقت، فقد تجرّد هذا السحاب الجهام عن البرق القديم، فضلاً عن البرق الجديد.

✍ ليس إلا الإلحاد والنزعات السافلة وتخانيث المدنية الأوربية، جزّارون ما تدعهم روح الجزار ولا طبيعته، جراد إنساني لا يغزو إلا لبطنه، غلاظ الأكباد، خربت أنفسهم من إيمانها، فإذا هي محاربة لكل ما في الكون من طهر ونور، فرمت في كل شيء بروح الدم والأشلاء والقبور والتعفن والبلى.

✍ أهل الغرب عباد الظلام، وجراد منتشر همج رعاع تريد أن تجعل من دنيا المسلمين خرابًا يبابًا وقاعًا صفصفًا، عبثوا بالرؤوس والجماجم والأنفس والأرواح، دوّخوا الإنسانية مرة بألسنتهم ورماحهم، وأخرى

بأقدامهم ونعالـهم، مزّقوا رداء الإنسانية، وهتكوا ستـر الحشمة، ولباس الكرامة، وفضحوا الإنسان مراراً وتكراراً.

قالوا لنا الغرب قلت صناعة ... وسياحة ومظاهر تُغرينا
لكنه خاو من الإيمان لا ... يرعى ضعيفًا أو يسرّ حزينًا
الغرب مقبرة المبادئ لم يزل ... يرمي بسهم المغريات الدينا
الغرب مقبرة العدالة كلما ... رُفعت يدٌ أبدى لها السكينا
الغرب يحمل خنجراً ورصاصة ... فعلامَ يحمل قومنا الزيتونا؟
كفر وإسلامٌ فأنّى يلتقي ... هذا بذلك أيها اللاهونا؟
أنا لا ألوم الغرب في تخطيطه ... لكن ألوم المسلم المفتونا
وألوم أمتنا التي رحلت على ... درب الخضوع ترافق التنينا

✍ الغرب اليوم في مثل ليل حوشي مظلم اختلط بعضه ببعض، وتحتاج الإنسانية إلى معنى يقود إنسانها غير الحيوان الذي فيه.

❑ وللّه در القائل:

سقط الغرب في الجريمة حتى ... رسفت في جحيمها الأبدان
فالظلام الكثيف جنس وخمر ... والنهارات كلها غثيانُ
ونساء ما مثلهنّ رجال ... ورجال ما مثلهم نسوانُ
واستبدّت بهم صنوف المخازي ... فاسألوهم إن تنطق الأدرانُ
صور تبعث الغثاثة في النفـ ... ـس وينبو عن مثلها الإنسان
فسدت فيهم الطباع فهذا ... ثُعلبان وهذه ثعبانُ[1]

(١) من قصيدة «نحن إسلامنا عظيم عظيم» لمحمود مفلح من ديوان «إنها الصحوة» ص(٣٥).

في الغرب يتعاون الكل على تحطيم الحواجز الأخلاقية، وعلى إفساد الضوابط الفطرية في النفس الإنسانية، وعلى تزيين الشهوات البهيمية، وعلى إهاجة السعار الجنسي بشتى الوسائل، وعلى ترذيل المشاعر الفطرية السليمة التي تشمئز من الشهوات العارية، وعلى تمجيد هذه الشهوات وتمجيد العري العاطفي والجسدي.

حرية مقنّعة؛ لأنها في حقيقتها خضوع وعبودية للميول الحيوانية والانتكاس إلى عالم البهيمية أو أضل.

قلوبٌ يا أخا الإسلام غلفٌ وتيه الجاهلية أي تيه؟!!

يقول الشيخ سيد قطب:

«مع أن هذا الانطلاق البهيمي ينتهي دائمًا بتدمير الحضارة وتدمير الأمة التي يشيع فيها ـ كما وقع في الحضارة الإغريقية والحضارة الرومانية، والحضارة الفارسية قديمًا ـ وكما يقع اليوم في الحضارة الأوربية وفي الحضارة الأمريكية كذلك، وقد أخذت تتهاوى على الرغم من جميع مظاهر التقدم الساحق في الحضارة الصناعية، الأمر الذي يفزع العقلاء هناك، وإن كانوا يشعرون ـ كما يبدو من أقوالهم ـ بأنهم أعجز من الوقوف في وجه التيار المدمر.

مع أن هذه هي العاقبة، فإنهم يندفعون إلى الهاوية، ويَقْبلون أن يفقدوا حرياتهم الإنسانية كلها أحيانًا، ولا يقبلون أن يقف حاجز واحد في طريق حريتهم البهيمية وحق الانطلاق الحيواني.

وتدمير هذه الحضارة هو العاقبة المؤكدة، التي توحي بها كل تجارب البشرية السابقة، مهما بدا من متانة هذه الحضارة، وضخامة الأسس التي

تقـوم عليهـا، فالإنسان بـلا شك هو أضخـم هذه الأسس، ومتـى دُمِّر الإنسان، فلن تقوم الحضارة على المصانع وحدها، ولا على الإنتاج»[1].

✍ ماذا فعل العلم للغرب بلا إيمان؟!

فـيا أسفًـا ليـس للـغرب منـه ... سـوى حيرة في دياجي الفِكَرْ
يسـوق الرزايا ويـهدي المنـايا ... إلى الخـلق في علـمه المبتَكَرْ
وبـين الـصـدور تـلين الـقـلـوبُ ... وفـي صدره قـطـعـة من حـجَـرْ
تـنـبَّهْ لـهـذا الـدخـيل الـذي ... تـفـرّ الـثـعـالـب مـن مـكـرِه
وإذْ مـا مـررتَ عـلـى حـانـه ... تـعـوّذ بـربـك مـن مـكـرِه
فـمـن ذاق خـمـرتـه لـم يَـعُـدْ ... إلـى داره بـل إلـى قـبـره

* الغرب بلا حدود ولا قيود ولا أمل:

كتبـت صحيفـة «الأخبار» في ١٢/ ٢/ ١٩٦٠ فـي «أخبار الأدب» تحت عنـوان «الأفيون والقرف»: «الـبوليس في أمـريكا اعتقـل عشرات الأدباء والشعـراء من «جمعية الأدباء الـساخطين»، ولم يكن الـسبب هو الاعتراض عـلى آثارهم الـفنية، بل عـلى سلوكهـم الاجتماعـي، على تعاطـيهم الأفيـون، ودفاعهم عـن المخدرات بصفـة عدائية، وعـلى أثر اعتقالهم أصدر «ويليام روراك» من الأدبـاء الساخطين ما يلي: «إن الحياة طعـمها مـرّ، وإن الناس فـي تعب دائم، وإنـه لا وسيلـة للهـرب من «القرف» إلا الاستسلام للأحلام السعيدة، وكسل لذيذ».

مَنْ لإنسانية منهوكةٍ
قد غذاها الغرب سُمًّا حنظلا

(١) «الظلال» بتصرف (١/ ٦٠٢ ـ ٦٠٣).

يتلظّى الحرّ مِنْ لأوائِها
ويعيش العبد فيها ثملا
آلةً أو حيوانًا خانعًا
تائه الذات شقيًّا غافلاً
هل لها مِن مُنجدٍ يُنقذها
يركب الصعب غيوراً باسلاً
شمر الساعد وادْأب، فبنا
عَلْقم الغرب سيغدو عسلاً

* * *

✍ وكتب أنيس منصور تحت هذا العنوان: «هذا الجيل بلا حدود ولا قيود ولا أمل» يقول: «هذه عبارة الكاتب الفرنسي «شارل موليه» في الجزء الثالث من كتابه عن «أدب القرن العشرين والمسيحية» في ٥٠٠ صفحة، وهو في هذا الكتاب بأجزائه الثلاثة لا يُدافع عن المسيحية، ولا يهاجمها، ولكن يجعلها حائطًا كبيرًا ترجع إليه الحضارة الغربية في محنتها الروحية، وهذا الكتاب هو أحسن الكتب وأشملها عن أدب القرن العشرين، فلم يظهر كتاب شامل عن أدب القرن العشرين إطلاقًا، وإنما كل الكتب التي صدرت هي دراسات خاصة مطولة عن كثير من هؤلاء الأدباء.. ولكن هذه الدراسات الموضوعية قد انفرد بها صابرًا مجتهدًا «شارل موليه».

والجزء الثالث هذا قد تناول فيه الآثار العميقة لكل من مالرو، وكافكا، وفركور، وشولوخوف، ومولنيه، وبومبار، وفرانسواز ساجان،

ولاديستاس ريمون، ومن رأي المؤلف أن الفيلسوف السياسي الموسيقار الطيّار أندريه مالرو هو الذي وضع أصابعه على الخطر الذي ينتظر الإنسانية، فهو وحده الذي أدرك منذ أكثر من ربع قرن محنة الروح الأوربية، ومالرو هو الذي نفث روح القلق والأسى في الأدب الفرنسي والأوربي بعد ذلك.

والغريب في هذا الجزء الثالث ما قاله المؤلف عن الأديبة الفرنسية فرانسواز ساجان التي صدرت لها قصتان هما: «مرحبًا أيها الحزن».. و«ابتسامة ما» هو يرى أن ساجان قد سجّلت روح اليأس والمرارة واللامبالاة والتواكل، تلك الروح التي عبّر عنها سارتر في أعقاب الحرب الأخيرة، والذي يتذكر ما قاله سارتر في الأعداد الأولى من مجلة «العصور الحديثة» يجده يصرخ ويقول: «لقد انتهت الحرب في فرنسا الجائعة، ولكن السلام لم يبدأ، إننا نعيش في محنة ما بين الحربين. لقد كذب هؤلاء الذين قالوا: إن السلام من طبيعة الأشياء، وإن الحرب مسألة عارضة.. فما هذا الذي نحن فيه؟ إنه الحرب والسلام معًا. إنها المحنة دائمًا»!!

وهذا الذي قاله سارتر في قصصه وكتبه إنما هو تعميق للإحساس بالمأساة واليأس والمرارة، وقد عبّر عنه الشاعر الألماني «بروشرت» الذي توفي سنة ١٩٤٧، فقال في قصته «أمام الباب»: «نحن جيل بلا رابط ولا عمق. عمقنا هو الهاوية، نحن جيل بلا دين ولا راحة، شمسنا ضيّقة، حبنا وحشيّة، وشبابنا بلا شباب، إننا جيل بلا قيود ولا حدود ولا حماية من أحد.

وكان لا بد أن تظهر هذه الصورة الشابة المعذَّبة في طلبة الجامعات

والمدارس وأعماق الأديرة. ومن هذه الأديرة، ومن الرهبانية القائمة، خرجت فرانسواز ساجان لتُعلن في قصتها: «إنني لا أفكر، ولا أستطيع، ولا أطيق أن أبقى وحدي، ولا أريد لأحد أن يكون كذلك، وأريد أن أعيش مثل شيء جديد، ولو كان فيه عذاب. المهم أن أكون جديداً».

وكذلك فعلت «سيسيل» بطلة قصة «مرحبًا أيها الحزن»، و«دومنيك» طالبة الحقوق وبطلة قصة «ابتسامة ما».

سيسيل ودومنيك صورتان لأبناء هذا الجيل الذي يتحرك، ويتألم ويروح ويجيء ويحارب ويصرخ في الظلام بلا حدود ولا قيود يؤمن بها، ولا أمل في أن يكون لديه أمل»[1].

* صيحات من الغرب:

يطلقها مفكرو الغرب وعلماؤه، ينذرون قومهم لعلهم يحذرون.. يحذرونهم من هذه الحضارة العوراء.. حضارة المسيح الدجّال، التي تنظر إلى الحياة بعين واحدة، هي العين المادية.

❑ «ألكسيس كاريل»:

يقول «ألكسيس كاريل» الحاصل على جائزة «نوبل» في العلوم، وصاحب الكتاب القيم «الإنسان ذلك المجهول»، والذي ينقد فيه الحضارة الغربية نقدًا علميًّا رصينًا، يقول في كتابه ذاك: «إن الحضارة العصرية

(١) جريدة الأخبار في ١٢/٢/ ١٩٦٠، انظر كتاب «الإيمان والحياة» للقرضاوي ص(٣٣٤ ـ ٣٣٦).

تجد نفسها في موقف صعب؛ لأنها لا تلائمنا، فقد أُنشئت دون أية معرفة بطبيعتنا الحقيقية إذْ إنها تولّدت من خيالات الاكتشافات العلمية، وشهوات الناس وأوهامهم، ونظرياتهم، ورغباتهم، وعلى الرغم من أنها أُنشئت بمجهوداتنا، إلا أنها غير صالحة بالنسبة لحجمنا وشكلنا»[١] .

❑ ويقول: «إننا قوم تعساء، ننحطّ أخلاقيًّا وعقليًّا، . . إن الجماعات والأمم التي بلغت فيها الحضارة الصناعية أعظم نمو وتقدم، هي على وجه الدقة، الجماعات والأمم الآخذة في الضعف، والتي ستكون عودتها إلى البربرية والهمجية أسرع من عودة غيرها إليها، ولكنها لا تدرك ذلك، إذ ليس هناك ما يحميها من الظروف العدائية التي شيّدها العلم حولها. . وحقيقة الأمر أن مدنيتنا مثل المدنيات التي سبقتها، أوجدت أحوالاً معينة للحياة من شأنها أن تجعل الحياة نفسها مستحيلة، وذلك لأسباب لا تزال غامضة. .

✍ يجب علينا الآن أن نعيد إنشاء الإنسان في تمام شخصيته الذي أضعفته الحياة العصرية ومقاييسها الموضوعة. .

إن عالم المادة أضيق من أن يتسع للإنسان».

❑ ويقول البروفسور «رينيه.دوبو» أكبر علماء البيولوجيا الأمريكي الجنسية، الفرنسي الأصل، والحائز على جائزة نوبل في كتابه «إنسانية الإنسان» "So Human An Animal"[٢] :

---

(١) «الإنسان ذلك المجهول» ترجمة شفيق أسعد فريد ـ مكتبة المعارف ـ بيروت ص(٣٧) ـ الطبعة الرابعة.

(٢) ترجمة الدكتور نبيل صبحي الطويل ـ نشر مؤسسة الرسالة في بيروت.

«إن الحياة الشاذة التي يعيشها عامة الناس الآن تخنق وتعطّل التفاعلات الحيوية الضرورية لسلامة الإنسان العقلية، ونمو الإمكانات الإنسانية.

✍ إن كل المفكرين قلقون على مستقبل الأبناء الذين سيقضون حياتهم في بيئات اجتماعية ومحيطية سخيفة عابثة باطلة.

✍ من نواح كثيرة يشبه إنسان العصر «الحيوان البري» الذي يقضي حياته في حديقة الحيوانات، فالإنسان الآن كهذا الحيوان..

الإنسان اليوم ليس فقط غريبًا عن أخيه الإنسان وعن الطبيعة، بل الأهم بكثير هو أنه غريب معزول عن أعماق ذاته».

✍ وفي حديث له بعنوان: «هل تستطيع أمريكا التغلّب على خرافة النمو؟» يقول: كان سكرتير وزارة الداخلية الأمريكية «استيوارت .ل. أودال» يقول: «إنه من السهل اعتبار أمريكا التي صنعها الإنسان.. كارثة على مستوى القارة». لقد ذكّر «أودال» مستمعيه: «إننا نملك أكبر عدد من السيارات وأسوأ ساحات «الخردة» بالمقارنة لأية دولة أخرى في العالم! نحن أكثر سكان العالم تنقّلاً ونتحمل أكبر قدر من الازدحام!، ونولّد أكبر قدر من الطاقة، وفي أجوائنا أكثر الهواء تلوثًا في العالم».

ثم نقل عن رئيس بلدية «كليفلند» قوله: «إذا لم نكن واعين فسيذكرنا التاريخ على أساس أننا الجيل الذي رفع إنسانًا إلى القمر.. بينما هو غائص إلى ركبتيه في الأوحال والقاذورات»[1].

(١) فصل «التخلص من أسطورة النمو والتنمية» من كتاب «إنسانية الإنسان» ص(٢١٩ ـ ٢٣١).

❑ ويقول الدكتور «هنري لنك» طبيب النفس الأمريكي المشهور في كتابه «العودة إلى الإيمان» والذي طبع في أمريكا ٤٨ طبعة:

«لن نهتدي إلى حل شاف لمشكلات الحياة العويصة، ولن ننهل من مورد السعادة عن طريق تقدم المعلومات، والمعرفة العلمية وحدها، فارتقاء العلم معناه ازدياد الارتباك واضطراد التخبّط، وما لم يتم توحيد هذه العلوم كلها تحت راية حقائق الحياة اليومية الواضحة وإخضاعها، فلن تؤدي هذه العلوم إلى تحرير العقول التي ابتدعتها وابتكرتها، بل ستقود حتما إلى انهيار هذه العقول وتعفنها، كما أن هذا التوحيد لا بد أن يأتي عن طريق آخر غير طريق العلم، وأعني به طريق الإيمان»[1].

❑ وقال «جون ديوي» الفيلسوف الأمريكي الشهير:

«إن الحضارة التي تسمح للعلم بتحطيم القيم المتعارف عليها، ولا تثق بقوة هذا العلم في خَلْق قيم جديدة. لهي حضارة تدمر نفسها بنفسها»[2].

❑ ونقل الكاتب الأمريكي «كولن ولسن» في كتابه «سقوط الحضارة» عن المفكر الكبير المؤرخ البريطاني «توينبي»:

«لقد أغرت فنون الصناعة ضحاياها، وجعلتهم يسلمونها قياد أنفسهم ببيعها «المصابيح الجديدة» لهم مقابل «المصابيح القديمة»، لقد أغرتهم فباعوها أرواحهم، وأخذوا بدلا منها «السينما» و«الراديو» وكان نتيجة هذا الدمار الحضاري الذي سبّبته تلك الصفقة الجديدة، إقفارًا روحيًّا وصفه أفلاطون بأنه «مجتمع الخنازير».

(١) «العودة إلى الإيمان» ص(٨١ ـ ٨٢) ـ ترجمة ثروت عكاشة.
(٢) «إنسانية الإنسان» ص(٤٣).

✍ صدر كتاب «يـوم أن اعترفت أمريكا بـالحقيقة» تأليـف «جيمس باترسون» و «بـيتر كينز» عام ١٩٩١ ويـقع في ٢٧٠ صفحة مـن القطع المتوسط وترجمه للعربية د. محمـد بن سعود البِشْر. ونتائج هذا الكتاب مفزعة مخيفة بالنسبة للأمريكيين أنفسهم.

❑ يقول «فليكس هيري» مؤلف كتـاب «الفجور» متحدثًا عن كتاب «يوم أن اعترفـت أمريكا بالحقـيقة» يقول: عنـدما انتهيت مـن قراءته لم أعرف ماذا أفـعل؟ هل أصدع بـالحقائق أم أركض لـلتلال وأختـبئ، إنه يعرِض لنـا حقائق عن أنفسنـا لم أشاهدها بأية دراسة أو بـأي استطلاع للرأي ولا حتى في الأحاديث الشخصية.

❑ وتقول صحيفة «ديلي نيوز» عن الـكتاب كلمة واحدة: «بالكتاب نتائج مفزعة».

❑ وأيضًا يقول «سيدني جيمس» نائب المدير التنفيذي لشركة «كولو مبيا» للإنتاج السينمائي عن الكتاب: «قد تُجنب الولايات المتحدة نفسها ـ بفضـل هذا الكتـاب ـ من كارثة مـحققة نـاتجة عن التـصدّع في البـنية الاجتماعية».

❑ يقول الأستاذ «جـود» الإنجليزي: قال لي فيلسوف هـندي انتقاده اللاذع لإطرائي لعجـائب حضارتنا: «نعم! إنكم تـقدرون أن تطيروا في الهـواء كالطيـور، وتسبـحوا في الماء كـالسمـك، ولكنكـم إلى الآن لا تعرفون كيف تمشون على الأرض».

✍ إن هذه الحضارة الغربية تصلب إنسانها على صليب من ذهب.

❑ ويقول الأديب الأمـريكي الكبير «جـون شتاينيك» أعـظم كُتّاب

القصة في أمريكا في خطاب أرسله إلى صديقه «إدلاي إستيفنسون» مرشح الحزب الديمقراطي لرئاسة الجمهورية سنة ١٩٥١، ١٩٥٦، ونشر هذا الخطاب الأستاذ أحمد بهاء الدين في صحيفة الأخبار ١٢/ ٢/ ١٩٦٠.. وملخصه:

«إن مشكلة أمريكا هي ثراؤها، وأن لديها أشياء كثيرة، ولكن ليس لديها رسالة روحية كافية، وقال: لو أنني أردت أن أُدّمر شعبًا، فإنني أعطيه أكثر مما يريد، فهذه الوفرة تجعله جشعًا تعيسًا مريضًا؛ إن شعبنا لا يمكن أن يعيش طويلاً على الأسس الحالية لحياته».

«إننا في حاجة إلى ضربة قوية تجعلنا نفيق من ثرائنا، لقد انتصرنا على الطبيعة، ولكننا لم ننتصر على أنفسنا».

❑ ويقول السياسي الأمريكي «جون فوستر دالاس» وزير خارجية أمريكا في عهد الرئيس «إيزنهاور» في كتابه «حرب أم سلام؟».

«إن هناك شيئًا ما يسير بشكل خاطئ في أمتنا، وإلا لما أصبحنا في هذا الحَرَج، وفي هذه الحالة النفسية».

«هناك حيرة في عقول الناس وتآكل لأرواحهم».

«لقد أخفقنا بشكل يدعو إلى الرثاء في أن نرى أن من الممكن الحصول على عدالة اجتماعية، دون أن نمارس الإلحاد والمادية.

❑ لقد كتب الرئيس «ولسون» قبل وفاته بأسابيع قليلة: «إن حضارتنا لا تستطيع الاستمرار في البقاء من الناحية المادية، إلا إذا استردت روحانيتها».

ولا تستطيع المسيحية أن تقدم طوق النجاة لعالم يهدده الغرق ويحيط به الموج من كل مكان.

نعيبُ عليهمُ جُبنًا وجهلاً ... وحقُّ الجاهلية أن تُعابا
ونغرسُ فيهم الإسلام غرسًا ... فقد بلغت شررهم النصابا[1]

✍ هذه شهادات أهل الغرب:

أعينٌ ظمأى لأنوار الهدى ... وفؤادٌ لجّ في أحزانه

✍ وبعد:

فهذه شهادة كبار رجال الغرب عن حضارة الغرب قدّمناها حتى يفيق أصحاب الفتنة العمياء الذين تناولوا من خمر حانة الغرب كأسًا دهاقًا، فأصابتهم بصداع اشتروه لأمتهم.. وخانوا أمانة الكلمة حين لم ينقلوا هذه الصورة لأمتهم.. سلسلوا عقولهم بأفكار الغرب، وملئوا حلوقهم بنباحه.

مستعارٌ قلم في فمكا ... مستعارٌ أملٌ في قلبكا
إن في قلبك نفسًا من سواكْ ... باعت الإكسير بالترْب يداكْ

❑ ولله در القائل:

ومن عاش يرجو من لئيمٍ تكرّما ... فليس له إلا القمامة والعظمُ
لنا الخصب في أحلامنا، وتراثنا ... خصيب إذا ما زحزح الوهنُ والرّدْمُ
لأمتنا الحسنُ الطبيعي مفردا ... ووجه الحسان البيض يمسخه الوشم

❑ وما أحسن قول من قال:

ومن جعل الغرابَ له دليلاً ... يمرّ به على جيف الكلاب

---

(١) من قصيدة «لأنك مسلم» لمحمود مفلح ص(٢٤).

ولن نجد أصدق ممن قال:

يُرَمْرِم من فُتات الكفر قوتًا ... ويلعق من كؤوسهم الثمالةْ
يُقَبل راحة الغربيِّ دومًا ... ويلثم دونما خجل نعالهْ

قد تضعضع أساس المدنية الأوربية، ولم يزل بناؤه منزعجًا، ولم تزده الأيام، ولم يزده الارتفاع إلا زيغًا واختلالاً، وفسدت بذرتها، فلم تصلح شجرتها ولم تطب ثمرتها ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا﴾ [الأعراف: ٥٨]، هذه البذرة الخبيثة التي أُلقيت في تربة أوربا لم تأت عليها قرون حتى نبتت منها دوحة خبيثة، ثمارها حلوة ولكنها سامة، أزهارها جميلة ولكنها شائكة، وفروعها مخضرة ولكنها تنفث غازًا ساماً لا يرى، ولكنه يسمم دم البشر.

إن أهل الغرب الذين غرسوا هذه الشجرة الخبيثة قد مقتوها، وأصبحوا يتذمرون منها، ولا تزال هذه الشجرة تثمر لهم شرورًا ومصائب، حتى صارت الحياة الغربية جسدًا مقروحًا، يشكو كل جزء منه أوجاعًا وآلامًا، وأعيا الداء الأطباء، واتسع الخرق على الراقع؛ الأمم الغربية تتململ ألمًا، قلوبها مضطربة، وأرواحها متعطشة إلى ماء الحياة، ولكنها لا تعلم أين معين الحياة»[1].

أخي:

إن الذين لفحهم سعير الحضارة والمدنية الغربية في أوربا وأمريكا وسائر العالم، وقد جاوزوا الحافة الشجراء من صحراء الفلسفة والعلوم

(١) «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» لأبي الحسن الندوي.. بتصرف.

إلى قلبها الرملي القفر الذي لا ماء فيه ولا ظل، قد أصابهم جميعًا أُوام[1] كبدهم، وهم يطلبون الماء العذب الزلال، ويصيحون على الدوام ليل نهار: «ظمئ الفؤاد فهاتها يا ساقي!».

* * *

(١) الأُوام: حرارة العطش.

وشَـــهِـــد
شـــاهد من أهلهـــا

وشَهِد شاهد من أهلها

❑ يقول ريتشارد نيكسون الرئيس الأمريكي السابق في كتابه «نصر بلا حرب» ١٩٩٩:

«إن في العالم الإسلامي من المغرب إلى أندونيسيا تَخلُف الأصولية الإسلامية محل الشيوعية باعتبارها الأداة الأساسية للتغيير العنيف.. إن رياح التغيير في العالم الثالث تكتسب قوة عاصفة، ونحن لا نستطيع إيقافها، ولكننا نستطيع أن نساعد في تغيير اتجاهها. إن الجهد الرئيسي للمخابرات الأمريكية الذي كان منصبًا لمراقبة إمبراطورية الشرق (الاتحاد السوفيتي) سيتجه لمراقبة الجماعات الأصولية في العالم الإسلامي، ووضع العقبات والعراقيل أمامها».

❑ ويقول بن جوريون رئيس وزراء إسرائيل السابق:

«إن أخشى ما نخشاه أن يظهر في العالم العربي محمد جديد»[1].

❑ ويقول لورانس براون:

«كان قادتنا يخوّفوننا بشعوب مختلفة لكننا بعد الاختبار؛ لم نجد مبررًا لمثل تلك المخاوف. كانوا يخوّفوننا بالخطر اليهودي، والخطر الياباني الأصفر، والخطر البلشفي. لكنه تبيّن لنا أن اليهود هم أصدقاؤنا، والبلاشفة الشيوعيون حلفاؤنا، أما اليابانيون، فإن هناك دولاً ديمقراطية كبيرة تتكفل بمقاومتهم. لكننا وجدنا أن الخطر الحقيقي علينا

---

(١) جريدة الكفاح الإسلامي لعام ١٩٥٥: عدد الأسبوع الثاني من نيسان.. انظر: «قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله» لجلال العالم ص(٤٢).

موجود في الإسلام، وفي قدرته على التوسع والإخضاع، وفي حيويته المدهشة»[١].

❑ ويقول المستشرق غاردنر:

«إن القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوربا»[٢].

❑ ويقول هانوتو وزير خارجية فرنسا السابق:

«لا يوجد مكان على سطح الأرض إلا واجتاز الإسلام حدوده وانتشر فيه، فهو الدين الوحيد الذي يميل الناس إلى اعتناقه بشدة تفوق كل دين آخر»[٣].

❑ ويقول ألبير مشادور:

«إن هذا المسلم الذكي الشجاع قد ترك لنا حيث حلّ آثار علمه وفنه، آثار مجده وفخاره، إن هذا المسلم الذي نام نومًا عميقًا مئات السنين قد استيقظ، وأخذ ينادي: ها أنا ذا لم أَمُت، إني أعود للحياة، لا لأكون أداة طيّعة، أو كتلاً بشرية تسيّرها العواصم الكبرى، ومخابراتها من يدري؟! ربما يعود اليوم الذي تصبح فيه بلاد الفرنج مهدّدة بالمسلمين يهبطون إليها من السماء لغزو العالم مرة ثانية في الوقت المناسب، أو الزمن الموقوت. لست متنبئًا، ولكن الأمارات الدالة على هذه الاحتمالات كثيرة، لا تقوى الذرة ولا الصواريخ على وقف تيارها»[٤].

---

(١) المجلد الثامن ص(١٠)، لورانس براون نقلاً عن التبشير والاستعمار ص(١٤٨).

(٢) «الإسلام على مفترق الطرق» ص(٣٩).

(٣) «الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي» ص(١٨).

(٤) «قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله» لجلال العالم ص(٥١) نقلاً عن كتاب «لم هذا الرعب كله من الإسلام» ـ للأستاذ جودت سعيد.

نعم:

قد يستدار زمان بعد كبوتنا ... وينسج المسلمون الصيد مجلاها
وينهضون على معراج عزتها ... ويملئون الدنى عدلاً ليرعاها
هبُّوا فذي راية الإسلام وانتشلوا ... من الوهاد شعوبًا طال شكواها
وأيقظوا أمم الدنيا بصحوتنا ... ولا تهابوا عدوًّا واسألوا اللّه
لأمتي قَدر بالدين يكرمها ... وبالفلاح الذي يغشى محيّاها
لا بدّ من غدنا المنشود يسعفها ... بالفتح، فالمبسم اللمّاح حيّاها

وصرّح بالازار، ديكتاتور البرتغال السابق في مؤتمر صحفي قائلاً:

«إن الخطر الحقيقي على حضارتنا هو الذي يمكن أن يُحدثه المسلمون حين يغيّرون نظام العالم «فلما سأله أحد الصحفيين: «لكن المسلمين مشغولون بخلافاتهم ونزاعاتهم»، أجابه: «أخشى أن يخرج منهم من يوجّه خلافاتهم إلينا»[1] .

ويقول «جب»:

«إن الحركات الإسلامية تتطوّر عادة بصورة مذهلة، تدعو إلى الدهشة، فهي تنفجر انفجارًا مفاجئًا قبل أن يتبيّن المراقبون من أماراتها ما يدعوهم إلى الاسترابة في أمرها. فالحركات الإسلامية لن ينقصها إلاّ وجود الزعامة.. لا ينقصها إلا ظهور صلاح الدين من جديد»[2] .

---

(١) «جند اللّه» للأستاذ سعيد حوى ص(٢٢).

(٢) «الاتجاهات الحديثة في الإسلام» ص(٣٦٥)، عن «الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر» (٢٠٦/٢).

ويقول مورو بيرجر في كتابه «العالم العربي المعاصر»:

«إن الخوف من العرب، واهتمامنا بالأمة العربية، ليس ناتجًا عن وجود البترول بغزارة عند العرب، بل بسبب الإسلام.

يجب محاربة الإسلام، للحيلولة دون وحدة العرب، التي تؤدي إلى قوة العرب؛ لأن قوة العرب تتصاحب دائمًا مع قوة الإسلام وعزته وانتشاره.

إن الإسلام يفزعنا عندما نراه ينتشر بيسر في القارة الإفريقية»[١].

ويقول «مرمادیوك بلكتول»:

«إن المسلمين يمكنهم أن ينشروا حضارتهم في العالم الآن بنفس السرعة التي نشروها بها سابقًا.

بشرط أن يرجعوا إلى الأخلاق التي كانوا عليها حين قاموا بدورهم الأول؛ لأن هذا العالم الخاوي لا يستطيع الصمود أمام روح حضارتهم»[٢].

ويقول المنصر لورانس براون:

«إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية، أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطرًا، أو أمكن أن يصبحوا أيضًا نعمة له. أما إذا بقوا متفرّقين، فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير».

ويكمل حديثه: «يجب أن يبقى العرب والمسلمون متفرقون، ليبقوا بلا قوة ولا تأثير»[٣].

---

(١) «قادة الغرب يقولون» ص(٥٥) نقلاً عن جريدة الأيام سنة ١٩٦٣.

(٢) «جند اللّه» ص(٢٢).

(٣) «قادة الغرب يقولون» ص(٧٤ ـ ٧٥).

❑ ويقول بول كيلر مدير عام مهرجان العالم الإسلامي الذي أقيم في لندن في نيسان سنة ١٩٧٦:

«إن الإنسان في الغرب يعاني فراغًا ثقافيًّا وروحيًّا، ومن هنا كان رحيله المستمر إلى الشرق على صورة موجات باحثًا عن ثقافة جديدة يواجه بها أزمته الروحية التي يعاني منها». ويقول: «أنا أعتقد أن العصر الذي نعيش فيه هو عصر الاتجاه إلى حضارة الشرق، والإسلام بصفة خاصة لم يتجه إلى الغرب، وهو أغنى حضارة بالقيم الروحية. فقلت: لماذا لا نقيم هذا الاتصال الثقافي والحضاري مع الإسلام، خاصة وأن الدول الإسلامية بدأت تفرض نفسها على العالم بشتى الصور»[1].

❑ وبعد استقلال الجزائر ألقى أحد كبار المستشرقين محاضرة في مدريد كان عنوانها: «لماذا كنا نحاول البقاء في الجزائر».

أجاب على هذا السؤال بشرح مستفيض ملخصه:

«إننا لم نكن نسخِّر نصف المليون جندي من أجل نبيذ الجزائر أو صحاريها، أو زيتونها..

إننا كنا نعتبر أنفسنا سور أوربا الذي يقف في وجه زحف إسلامي محتمل يقوم به الجزائريون وإخوانهم من المسلمين عبر المتوسط، ليستعيدوا الأندلس التي فقدوها، وليدخلوا معنا في قلب فرنسا بمعركة «بواتيه» جديدة ينتصرون فيها، ويكتسحون أوربا الواهنة، ويكملون ما كانوا قد عزموا عليه أثناء حلم الأمويين بتحويل المتوسط إلى بحيرة إسلامية خالصة.

من أجل ذلك كنا نحارب في الجزائر».

---

(١) مجلة الأسبوع العربي، العدد ٨٦٨/ الاثنين ـ آذار ١٩٧٦.

ويقول مسئول في وزارة الخارجية الفرنسية عام ١٩٥٢:

«ليست الشيوعية خطرًا على أوربا فيما يبدو لي، إن الخطر الحقيقي الذي يهدِّدنا مباشرًا وعنيفًا هو الخطر الإسلامي، فالمسلمون عالم مستقل كل الاستقلال عن عالمنا الغربي، فهم يملكون تراثهم الروحي الخاص بهم. ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات أصالة، فهم جديرون أن يقيموا قواعد عالم جديد، دون حاجة إلي إذابة شخصيتهم الحضارية والروحية في الحضارة الغربية، فإذا تهيأت لهم أسباب الإنتاج الصناعي في نطاقه الواسع؛ انطلقوا في العالم يحملون تراثهم الحضاري الثمين، وانتشروا في الأرض يزيلون منها قواعد الحضارة الغربية، ويقذفون برسالتها إلى مزابل التاريخ.

وقد حاولنا نحن الفرنسيين خلال حكمنا الطويل للجزائر أن نتغلّب على شخصية الشعب المسلمة، فكان الإخفاق الكامل نتيجة مجهوداتنا الكبيرة الضخمة.

إن العالم الإسلامي عملاق مقيّد، عملاق لم يكتشف نفسه حتى الآن اكتشافًا تامًّا، فهو حائر، وهو قلق، وهو كاره لانحطاطه وتخلّفه، وراغب رغبة يخالطها الكسل والفوضى في مستقبل أحسن، وحرية أوفر.

فلنعط هذا العالم الإسلامي ما يشاء، ولنقوّ في نفسه الرغبة في عدم الإنتاج الصناعي، والفني، حتى لا ينهض، فإذا عجزنا عن تحقيق هذا الهدف، بإبقاء المسلم متخلّفًا، وتحرّر العملاق من قيود جهله وعقدة الشعور بعجزه، فقد بؤنا بإخفاق خطير، وأصبح خطر العالم العربي، وما وراءه من الطاقات الإسلامية الضخمة خطرًا داهمًا ينتهي به الغرب، وتنتهي معه وظيفته الحضارية كقائد للعالم»[1].

(١) «جند اللَّه» ص(٢٢).

❑ أما جوستاف ينج:

فقد كتب كتابًا أسماه «الحساب الأخير الذي اقترب» يعني تصفية الحساب، يقصد أن العالم الإسلامي سوف يفيق وسوف ينتقم من العالم الغربي واليهود والصهاينة ويتولى هو حسابهم.

يقول: «إن العالم الإسلامي قد أفلت من قبضة الموت الذي أعدّه ونسّق أكفانه الاستعمار الأوروبي».

وجاء في مجلة «التاريخ الجاري» الأمريكية مقال بعنوان: «محمد يتهيّأ للعودة» أعقبه عنوان آخر معناه: إن المسلمين رقدوا ٥٠٠ سنة وهم يتحركون الآن، ويتوثبون إلى السلطات.

❑ ويقول الأستاذ ماسينون - وهو أحد المستشرقين الفرنسيين وأستاذ طه حسين - يقول عن الصحوة الإسلامية:

«إن وجودها يندر أن يخطر على بال أحد قبل أن يندلع لهيبها، ويروّع العالم.

والمسألة الكبرى هي مسألة الزعامة، فحينما يجد الإسلام صلاح الدين الجديد - رجلاً يجمع بين الحنكة السياسية العظيمة، وبين شعوره برسالته الدينية، يبلغ أعماق نفسه، فإن ما عدا ذلك ينحلّ من تلقاء نفسه».

❑ أما الأمريكي جورج سامسون في كتابه «الشرق الأوسط في مؤلفات الأمريكيين»:

«إن المآثر التي قامت بها الشعوب التي تتحدث اللغة العربية، وذلك ما بين القرن التاسع إلى القرن الثاني عشر كانت عظيمة إلى درجة تذهل أفهامنا. وإن شعوب الشرق الأوسط سبق لها أن قادت العالم في مرحلتين طوال ألفيّ عام على الأقلّ قبل أيام اليونان، وفي العصور

الوسطى لمدة أربعة قرون، وليس ثمة ما يمنع تلك الشعوب أن تقود العالم ثانية في المستقبل القريب أو البعيد»[١].

❑ ويقول أحد علماء السوريون في مؤلف له:

«إن العالم فيه ثلاث قوى: قوة الشرق، وقوة الغرب، وهناك قوة ثالثة لو عرفت نفسها لأمكنها أن ترث القوتين، هذه القوة هي القوة الكامنة وراء يقظة المسلمين؛ لأن لهم نظرة انفردوا بها عن العالم في تنشئة الرجال»[٢].

❑ ويقول «فيليب أونداسي» في كتابه المسمى «الاستعمار الفرنسي في أفريقيا السوداء»:

«إن من الضروري لفرنسا أن تقاوم الإسلام في هذا العالم، وأن تنتهج سياسة عدائية للإسلام، وأن تحاول على الأقل إيقاف انتشاره».

❑ ويقول «أشعيا بومان» في مقال نشره في مجلة العالم الإسلامي التبشيرية:

«إن شيئًا من الخوف يجب أن يسيطر على العالم الغربي من الإسلام، لهذا الخوف أسباب، منها أن الإسلام منذ ظهر في مكة لم يضعف عدديًا، بل إن أتباعه يزدادون باستمرار.

من أسباب الخوف أن هذا الدين من أركانه الجهاد»[٣].

❑ ويقول «أنطوني ناتنج» في كتابه «العرب»:

«منذ أن جمع محمد ﷺ أنصاره في مطلع القرن السابع الميلادي، وبدأ أول خطوات الانتشار الإسلامي، فإن على العالم الغربي

(١) نقلاً عن شريط «المستقبل للإسلام» لفضيلة الشيخ محمد إسماعيل المقدم.

(٢) نقلاً عن شريط «المستقبل للإسلام» لفضيلة الشيخ محمد إسماعيل المقدم.

(٣) «قادة الغرب يقولون» ص(٥٢).

أن يحسب حساب الإسلام كقوة دائمة، وصلبة تواجهنا عبر المتوسط»[١].

❑ يقول الكاتب والمفكر الأيرلندي جورج برنارد شو والحاصل على جائزة نوبل في الأدب عام (١٩٢٥):

«لقد كنت دائمًا أحتفظ لدين محمد عندي بأعلى التقدير، وذلك بسبب حيويته المدهشة، إنه الدين الوحيد الذي يبدو لي أنه يمتلك القدرة على استيعاب تغيّر أطوار الحياة بما يجعله محل إعجاب لكل العصور.

إني أعتقد لو أن شخصًا مثله[٢] تولى الحكم المطلق للعالم المعاصر لنجح في حل مشاكله بطريقة تجلب له ما هو في أشد الحاجة إليهما من سلام وسعادة.

لقد تنبأت بأن دين محمد سيكون مقبولاً في أوربا الغد، كما أنه بدأ يكون مقبولاً في أوربا اليوم»[٣].

❑ ويقول مونتجمري وات رئيس قسم الدراسات العربية بجامعة أدنبره:

«من المؤكد أن الإسلام منافس قوي في مجال إعطاء النظام الأساسي للدين الوحيد الذي يسود في المستقبل»[٤].

❑ والكاتب والصحفي السويسري روجيه دي باسكيه الذي أسلم وسمى نفسه «سيدي عبد الكريم»..يقول في كتابه «اكتشاف الإسلام»:

«من المسلّم به حاليًا وبوجه عام، أنه بينما تتراجع الديانات الكبرى

---

(١) وليم بولك: «الولايات المتحدة والعالم الغربي»، و«القومية والغزو الفكري» ص(٤٢)، و«قادة الغرب يقولون: دمّروا الإسلام أبيدوا أهله» (٥٢).

(٢) يعني: محمدًا ﷺ.

(٣) «الإسلام في الفكر الغربي» للواء أحمد عبد الوهاب ص(٢٢) ـ مكتبة دار التراث.

(٤) «الإسلام والمسيحية اليوم» لمونتجمري وات.

أو على الأقل تتخذ موقف الدفاع، فإن الإسلام ذاته في تقدم. وتعطي أفريقيا أكثر الأمثلة وضوحًا على ذلك.

إن قوة الإسلام هذه مقارنة بضعف المسيحية تمثل حقيقة كبرى في التاريخ المعاصر.. إنه يقدم وسائل لمقاومة الفوضى التي تسود العالم حاليًا، وإقرار النظام والنقاء في داخل الإنسان.

✍ إن الإسلام عالمي بكل معنى الكلمة.

إن الغرب المسيحي أو الذي فقد مسيحيته لم يعرف الإسلام أبدًا.

مهما حدث في العالم الغربي المزدهر وفاسد الأخلاق، أو حدث للشعوب التي تعاني من فقر المستلزمات المادية للحياة مثل تلك التي يطلق عليها «العالم الثالث»، فإن الإسلام يقدم الحل الأكثر وضوحًا وجوهرية وحتمية من أجل مواجهة التحدي الحديث».

❑ يرى الدكتور مراد هوفمان سفير ألمانيا في الجزائر ثم المغرب:

«أن الإسلام يحتل القمة فيما يشغل الإعلام العالمي في الربع الأخير من القرن الحالي.

لا يتوقع اليوم أحد أن يختفي الإسلام، ولكن أن يمتد، بل وينفجر، ويضع جنرالات الناتو في حسبانهم أن أكثر المواجهات العسكرية احتمالاً في المستقبل لن تكون بين الشرق والغرب، ولكن الشمال والجنوب، فالإسلام هو العدو المتنامي المرتقب»[1].

ويقول: «إني لا أدعو إلى أي تنازل أو تجاوز قد يمس أساسيات

(١) «الإسلام عام ٢٠٠٠» لمراد هوفمان ص(١٧) ـ مكتبة الشروق.

الإسلام في القرآن والسنة الصحيحة. فليس الهدف تحويل الإسلام ليناسب الحداثة، ولكن تجديده حسبما ترمي أصوله، ومنهاجه ليناسب العصر، وحتى يقرّ بذلك أكثر الغربيين نشوزًا.

الجميل في هذا المسعى، أنه سيخدم السلام في نفس الوقت الذي سيهيئ أعظم الفرص ليصبح الإسلام ديانة العالم الأولى في القرن ٢١»[١].

❑ ويقول «روبرت بين» في مقدمة كتابه الذي سمّاه: «السيف المقدّس»:

«علينا أن ندرس العرب ونسبر أفكارهم؛ لأنهم حكموا العالم سابقًا، وربما عادوا إلى حكمه مرة أخرى، والشعلة التي أضاءها محمد ﷺ لا تزال مشتعلة بقوة، وهناك ما يدعو إلى الاعتقاد بأن الشعلة لا تُطفأ، ولهذا كتبت هذا الكتاب لكي يقف القراء على أصل العرب، وسمّيته باسم السيف ذي النصلين الذي ناله محمد في وقعة بدر تذكارًا لانتصاره؛ لأن السيف أصبح رمزًا لمطالبة الإمبريالية»[٢].

مت بغيظك يا روبرت.. والحكمة ضالة المؤمن.. علمنا منك أن الشعلة التي أضاءها محمد ﷺ لا تزال مشتعلة بقوة، وهناك ما يدعو بأن الشعلة لا تطفأ.

* * *

(١) المصدر السابق ص(٢٦).

(٢) ص(١٧) من الكتاب بالإنجليزية، يقول الشيخ القرضاوي: «وقد نقلنا هذه الفقرة من تقرير للدكتور إسحاق موسى الحسيني عن هذا الكتاب، قدّمه إلى الإدارة العامة للثقافة بالأزهر في أواخر الخمسينات.

يَا لهُ
مِـن ديـــن
لـــو أنَّ لـهُ رجـــالاً

«دينك عرضك، دينك لحمك، دينك دمك»

«إنه الإسلام أمي وأبي»

يَا لهُ من دينٍ لو أنَّ لهُ رجالاً

✍ الإسلام هو روح الحياة وحياة الروح، وسرّ العالم وعالم الأسرار، وجمال الدنيا ودنيا الجمال، ونور الطريق وطريق النور، وقوة الخلق وخُلُق القوة.

* مبشرات من الإسلام ذاته:

✍ الإسلام هو واحة المسافر، ونجم الملاّح، ودليل الحيران، ورفيق الغريب، وأنيس المستوحش.

✍ هو مصنع البطولات، ومحقق المعجزات، ومفتاح المغاليق، ومنارة الهدى في كل طريق.

✍ أقام عوج الحياة، وجعل المجتمع طاقة زهر لا شوك فيها.

✍ الإسلام فيه الأمل كل الأمل والمبشرات كل المبشرات لذاتية هذا الدين وقوته في نفسه.

✍ إنه الضياء الثاقب الذي ينفذ إلى الفكر والعاطفة والإرادة فيُجري في كيانه عصارة الحياة.

✍ يمتد إلى المجتمع بشموله وتوازنه وعمقه وإيجابياته وأشعته الوهّاجة المشرقة، فإذا دم الحياة قد جرى في عروقه، والعافية قد سرت في أوصاله فيشفيه وهو سقيم، بل يُحييه وهم رميم.. أليس فيه نفحة من سرّ الألوهية التي تقول للشيء: كن؛ فيكون.

✍ كما تطلع الشمس بأنوارها فتفجر ينبوع الضوء المسمى بالنهار، جاء الإسلام فوُجد في العالم ينبوع النور.

ورعشات الضوء من الشمس هي قصة الهداية للكون في كلام من النور، وأشعة الوحي في الإسلام هي قصة الهداية لإنسان الكون في نور من الكلام.

✍ وإذا تعسّف الناس الحياة لا يدرون أين يؤمون منها، ولا كيف يهتدون فيها فتضطرب الملايين من البشر، يأتي الإسلام نوراً هادياً من غلط الحياة وتحريف الإنسانية يُصحّح ما اعترى هذه الأنفس.

وكنّا نعيرُ الشمس من قبساتنا ... فيكسو الربى فيضٌ من النور كاسحُ
وها نحن نستجدي من الغرب شمعة ... فلا الغرب معطٍ لا، ولا الشرق مانحُ
ألا يقظةً يا أمة النور إنها ... ليقظة عملاق زَوَتْهُ الكوابحُ
نعم ملّة الإسلام في الكون دوحة ... وفي ظلها يغدو الهدى ويراوحُ
على كل فرع عندليب مغرّد ... وفي كل غصن بلبل الحق صادحُ

✍ الإسلام أفق وضيء يطهّر البشرية من غبش الجاهلية، وأهل الشقاء يفرون منه إلى موتهم ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٥٠ ـ ٥١].

✍ إن الإسلام سيندفع بأخلاقه في العالم اندفاع العصارة الحية في الشجرة الجرداء، فليس يمضي غير بعيد حتى تخضرّ الدنيا، وترمي بظلالها، لا كغيره مما يعدّ كطلاء الشجرة الميتة الجرداء بطلاء أخضر.

✍ الإسلام.. والإسلام وحده هو مفتاح شخصيتنا إن أردنا الحياة.

ما زال وضّاء السنا في أمة ... ضلّ القطيع بها وضل الراعي
سالت على الصحراء من عهدٍ مضى ... أنواره ومشت إلى الأصقاع

يا للمنار السمح قد غشى الدجى ... متكامل البنيان في إبداع
وإذا تقنّعت الحقائق كلها ... برزت حقيقته بغير قناع

✍ إنه الإسلام الذي شرفت به هذه الأمة:

إننا من أمة أنزلها ... دينها فوق البرايا منزلاً
نجمها فيه من الخلد سنا ... إن خبا حيناً فلن لن يأفلا
أفْرُك العينين يا صاح أرهف ... السمع، فالإرهاصُ أحيا الأملا
إنه الإسلام دين مبرمٌ ... ليس يرضى اللّه عنه بدلا
زحفه من أمسه في يومه ... قد تحدّى يصنع المستقبلا
وتسترجّ الدنا تلبيةً ... ما مُناديه دعا «حي علَى..»

✍ الحياة في ظل الإسلام نعمة.. نعمة لا يعرفها إلاّ من ذاقها.. نعمة ترفع العمر وتباركه وتزكيه. يعيش المرء في ظل الإسلام ينظر من عُلو إلى الجاهلية التي تموج في الأرض، وإلى اهتمامات أهلها الصغيرة الهزيلة.. ويعجب.. ما بال هؤلاء الناس؟! ما بالهم يرتكسون في الحمأة الوبيئة، ولا يسمعون النداء العلوي الجليل..؟ النداء الذي يرفع العمر ويباركه.

✍ يعيش المرء في ظل الإسلام وتصوره الكامل الشامل الرفيع النظيف للوجود، لغاية الوجود كله، وغاية الوجود الإنساني، ويقيس إليه تصورات الملل والنحل الجوفاء التي تعيش فيها البشرية.. فيسأل: كيف تعيش البشرية في المستنقع الآسن، وفي الدرك الهابط، وفي الظلام البهيم وعندها ذلك المرتع الزكي، وذلك المرتقى العالي، وذلك النور الوضيء؟! فيردد وجيب القلب ونبضه ﴿**أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ**﴾ [آل عمران: ٨٣].

✍ يعيش المرء في ظل الإسلام فيرى الوجود أكبر بكثير من ظاهره المشهود. . إنه عالم الغيب والشهادة. . إنه الدنيا والآخرة. . يعيش مع الكون الودود الذي يخشع ويسجد لمولاه فأي سعة وأي أنس، وأي ثقة يفيضها على القلب هذا التصور الشامل الكامل الفسيح الصحيح.

✍ يعيش المرء بالإسلام فيرى الإنسان أكرم بكثير من كل تقدير عرفته البشرية من قبل للإنسان ومن بعد.

✍ المسلم ذو نسب عريق، ضارب في شعاب الزمان، إنه واحد من ذلك الموكب الكريم، الذي يقود خطاه ذلك الرهط الكريم: نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وعيسى ومحمد صلى اللَّه عليهم وسلم. . ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾.

✍ يعيش المرء في ظل الإسلام هادئ النفس، مطمئن السريرة، قرير الضمير، لا صلاح لهذه الأرض، ولا راحة لهذه البشرية، ولا طمأنينة لهذا الإنسان، ولا رفعة ولا بركة ولا طهارة إلا بالرجوع إلى الإسلام.

✍ إن هذه البشرية. . وهي من صنع اللَّه ـ لا تفتح مغاليق فطرتها إلا بمفاتيح من صنع اللَّه، ولا تعالج أمراضها وعللها إلا بالدواء الذي يخرج من يده سبحانه ـ، وقد جعل في منهجه وحده مفاتيح كل مغلق، وشفاء كل داء، ولكن هذه البشرية لا تريد أن ترد القفل إلى صانعه، ولا أن تذهب بالمريض إلى مبدعه الذي يعلم مساربه ومداخله.

ومن هنا جاءت الشقوة للبشرية الضالة المسكينة الحائرة التي لن تجد الرشد ولن تجد الهدى ولن تجد الراحة ولن تجد السعادة، إلا حين ترد الفطرة البشرية.

لقد كان الإسلام قد تسلّم القيادة بعد ما فسدت الأرض، وأسنت

الحياة، وتعفّنت القيادات، وذاقت البشرية الويلات من القيادات المتعفنة. تسلّم الإسلام القيادة، فكان ذلك مولدًا جديدًا للإنسان أعظم في حقيقته من المولد الذي كانت به نشأته. لقد أنشأ الإسلام للبشرية تصورًا جديدًا عن الوجود والحياة والقيم والنظم، كما حقق لها واقعًا اجتماعيًّا فريدًا، كان يعزّ على خيالها تصوره مجرد تصور، قبل أن ينشئه لها الإسلام إنشاء.

✍ نعم! لقد كان هذا الواقع من النظافة والجمال، والعظمة والارتفاع، والبساطة واليسر، والواقعية والإيجابية، والتوازن والتناسق.. بحيث لا يخطر للبشرية على بال.

✍ ثم وقعت تلك النكبة القاصمة، ونُحِّي الإسلام عن القيادة، نُحِّي عنها لتتولاها الجاهلية مرة أخرى، في صورة من صورها الكثيرة، صورة التفكير المادي الذي تتعاجب به البشرية اليوم كما يتعاجب الأطفال بالثوب المبرقش واللعبة الزاهية الألوان، وترتقي البشرية في المادة بقدر ما ترتكس في المعنى الإنساني، وتعاني من القلق والحيرة ما يصرخ منه العقلاء هناك.

✍ إن الرقي إلى مستوى الإسلام يحتاج إلى دعاء من قلب صادق سليم مثلما دعا الخليل عليه السلام ﴿**رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ**﴾ [البقرة: ١٢٨].

* وقال تعالى: ﴿**وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [البقرة: ١٣٠- ١٣١].

ولم يكتف الخليل - عليه السلام - بهذا إنما تركها في عقبه، وجعلها وصيته في ذريته، وصَّى بها إبراهيم بنيه، كما وصَّى بها يعقوب

بنيه، قال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢ ـ ١٣٣].

* يا له من دين:

ارتضاه اللَّـه دينًا واحدًا لكل أنبيائه ورسله إعلانًا لوحدة البشرية عقيدة واحدة وأمة واحدة: قال تعالى عن قول نوح عليه السلام لقومه: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢].

وقد مر بك قول إبراهيم ووصيّة يعقوب.

* وقال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤].

* ولوط عليه السلام: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥ ـ ٣٦].

* ويوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

* وسليمان عليه السلام: ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٠ ـ ٣١].

* وعيسى عليه السلام: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ

أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢].

* وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، ليس بيني وبينه نبي، والأنبياء أولاد علات؛ أمهاتهم شتى، ودينهم واحد»[1].

* وقال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩].

* وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

هذا الدين كما يريده اللَّه؛ ولا عبرة بالإسلام كما تريده أهواء البشر في جيل منكود من أجيال الناس.

● عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «أحب الأديان إلى اللَّه تعالى الحنيفية السمحة»[2].

---

(١) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود عن أبي هريرة.

(٢) حسن: رواه أحمد، والبخاري في «الأدب المفرد»، والطبراني في «المعجم الكبير» عن ابن عباس، وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٦٠)، و«الصحيحة» (٨٨١).

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «أفضل الإسلام الحنيفية السمحة»[١].

* يا له من دين لو أن له رجالاً:

هو أرقى تصوّر للوجود والحياة، وأقوم منهج للمجتمع الإنساني بلا مراء؛ هو الرشد الذي ينبغي للإنسان أن يتوخاه ويحرص عليه، والكفر هو الغي الذي ينبغي للإنسان أن ينفر منه ويتقي أن يُوصم به.

وما يتدبر الإنسان نعمة الإسلام، وما تمنحه للإدراك البشري من تصور ناصع واضح، وما تمنحه للقلب البشري من طمأنينة وسلام، وما تثيره في النفس البشرية من اهتمامات رفيعة ومشاعر نظيفة، وما تحققه في المجتمع الإنساني من نظام سليم قوي قويم دافع إلى تنمية الحياة وترقية الحياة.. هو الرشد الذي لا يرفضه إلا سفيه، يترك الرشد إلى الغيّ، ويدع الهدى إلى الضلال، ويؤثر التخبّط والقلق والهبوط والضآلة على الطمأنينة والسلام والرفعة والاستعلاء!

* قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

يئسوا أن يبطلوه، أو ينقصوه، أو يحرّفوه، وقد كتب اللَّه له الكمال، وسجّل له البقاء، وأتم نعمته الكبرى على الناس ورضي لهم الإسلام دينًا، فمن لا يرتضيه منهجًا لحياته ـ إذن ـ فإنما يرفض ما ارتضاه اللَّه للمؤمنين.

حين يرى الإنسان ويستعرض موكب الإيمان، وموكب الرسالات

---

(١) حسن: رواه الطبراني في «الأوسط» عن ابن عباس، وأحمد في كتاب «الزهد»، وحسنه الألبانيّ في «صحيح الجامع» (١٠٩٠).

منذ فجر البشرية إلى رسالة النبي ﷺ حين يرى هذا الموكب المتطاول المتواصل، موكب الهدى والنور، ويرى إكمال العقيدة، وإكمال الشريعة معًا، وأنه صالح للبشر في كل زمان ومكان يدرك أنه نعمة تامة ضخمة هائلة، نعمة تمثل مولد الإنسان في الحقيقة، كما تمثل نشأته واكتماله.

✍ ولا يدرك حقيقة نعمة اللَّه في هذا الدين، ولا يقدرها قدرها، من لم يعرف حقيقة الجاهلية ومن لم يذق ويلاتها. ويلاتها في التصور والاعتقاد، وويلاتها في واقع الحياة، ويلات الضلال والعمى، وويلات الحيرة والتمزق، وويلات الضياع والخواء، في المعتقدات والتصورات في كل زمان وفي كل مكان، وويلات الطغيان والهوى، وويلات التخبط والاضطراب، وويلات التفريط والإفراط، حينئذ يدرك ويتذوق نعمة اللَّه في هذا الدين.

✍ لقد التقط الإسلام الناس من سفح الجاهلية ودركها، وسار بهم في الطريق الصاعد، إلى القمة السامقة، وجعلهم ينظرون من علٍ إلى سائر أمم الأرض من حولهم في السفح، في كل جانب من جوانب الحياة، عرفوا السفح وعرفوا القمة، وعرفوا حب اللَّه لهذه الأمة ورضاه عنها حتى ليختار لها منهج حياتها.

✍ إن هذه الكلمات الهائلة لتلقي على عاتق هذه الأمة عبئًا ثقيلاً، وإن ارتضاء اللَّه الإسلام دينًا لهذه الأمة، ليقتضي منها ابتداءً أن تدرك هذه الرعاية الجليلة، وأن تدرك قيمة هذا الاختيار، ثم تحرص على الاستقامة على هذا الدين جهد ما في الطاقة من وسع واقتدار، وإلا فما أنكد وأحمق من يهمل ـ بله أن يرفض ـ ما رضيه اللَّه له، ليختار لنفسه غير ما اختاره اللَّه، وإنها إذن لجريمة نكدة، لا تذهب بغير جزاء وسيذوق وبال أمره في دنياه وعقباه.

* يا له من دين لو أن له رجالاً:

إن الإسلام نور يشرق به كيان المؤمن ـ تشرق به روحه فتشف وتصفو وتشعّ من حولها نورًا ووضاءة ووضوحًا ـ نور يكشف حقائق الأشياء وحقائق القيم وحقائق التصورات، فيراها قلب المؤمن واضحة بغير غبش، بينة بغير لبس، مستقرة في مواضعها بغير أرجحة، فيأخذ منها ما يأخذ ويدع منها ما يدع في هوادة وطمأنينة وثقة وقرار لا أرجحة فيه. نور يكشف الطريق إلى الناموس الكوني فيطابق المؤمن بين حركته وحركة الناموس الكوني من حوله ومن خلاله؛ ويمضي في طريقه إلى اللَّه هينًا ليّنًا لا يتعسف ولا يصطدم بالنتوءات، ولا يخبط هنا وهناك. فالطريق في فطرته مكشوف معروف.

وغير الإسلام كفر وظلمات شتى منوعة: ظلمة الهوى والشهوة وظلمة الشرود والتيه وظلمة الكبر والطغيان، وظلمة الضعف والذلة، وظلمة الرياء والنفاق، وظلمة الطمع والسعر.. وظلمة الشك والقلق.. وظلمات شتى لا يأخذها الحصر تتجمّع كلها عند الشرود عن طريق اللَّه.

✍ إن رصيد الإيمان الذي تقوم الأمة المسلمة حارسة عليه في الأرض، ووارثة له منذ أقدم الرسالات، هو أكرم رصيد وأقومه في حياة البشرية، إنه رصيد من الهدى والنور، ومن الثقة والطمأنينة، ومن الرضى والسعادة، ومن المعرفة واليقين.. وما يخلو قلب بشري من هذا الرصيد حتى يجتاحه القلق والظلام، وتغمره الوساوس والشكوك، ويستبد به الأسى والشقاء، ثم يروح يتخبط في ظلماء طاغية، لا يعرف أين يضع قدميه في التيه الكئيب!

✍ وصرخات القلوب التي حُرمت هذا الزاد، وحُرمت هذا الأنس،

وحُرِمت هذا النور، صرخات موجعة في جميع العصور.. هذا إذا كان في هذه القلوب حساسية وحيوية ورغبة في المعرفة ولهفة على اليقين، فأما القلوب البليدة الميتة الجاسية الغليظة، فقد لا تحس هذه اللهفة، ولا يؤرقها الشوق إلى المعرفة.. ومن ثَمّ تمضي في الأرض كالبهيمة تأكل وتستمتع كما تأكل الأنعام وتستمتع، تنشر الفساد في الأرض، ثم تمضي ملعونة من اللّه ملعونة من الناس.

والمجتمعات المحرومة من الإسلام مجتمعات بائسة ـ ولو غرقت في الرغد المادي ـ ، خاوية ـ ولو تراكم فيها الإنتاج، قلقة ـ ولو توافرت لها الحريات والأمن والسلام الخارجي، وأمامنا في أمم الأرض شواهد على هذه الظاهرة لا ينكرها إلا مراوغ يتنكر للحس والعيان!.

* يا له من دين لو أن له رجالاً:

لا يتولى عنه إلا موكوس منكوس مطموس، شاذ في هذا الوجود الكبير.. ناشز في وسط الكون الطائع المستسلم المستجيب.

إننا نرى واقع البشرية النكد، ونشم رائحة المستنقع الآسن الذي تتمرّغ فيه، ونرى.. نرى هنالك على الأفق الصاعد راية النجاة تلوح للمكدودين في هجير الصحراء المحرق، والمرتقى الوضيء النظيف يلوح للغارقين في المستنقع؛ ونرى أن قيادة البشرية إن لم ترد إلى الإسلام فهي في طريقها إلى الارتكاس الشائن لكل تاريخ الإنسان، ولكل معنى من معاني الإنسان!

* يا له من دين لو أن له رجالاً:

لقد صنع الإسلام في النفوس التي آمنت به أكثر من تسيير الجبال وتقطيع الأرض وإحياء الموتى، لقد صنع في هذه النفوس وبهذه النفوس

خوارق أضخم وأبعد آثارًا في أقدار الحياة، بل أبعد أثرًا في شكل الأرض ذاته. فكم غيّر الإسلام والمسلمون من وجه الأرض، إلى جانب ما غيّروا من وجه التاريخ؟!

✍ إن طبيعة الإسلام لتحتوي على قوة خارقة نافذة، والذين خالط الإسلام لحمهم ودماءهم من القرون الخيرية سيّروا ما هو أضخم من الجبال، وهو تاريخ الأمم والأجيال، وقطعوا ما هو أصلب من الأرض، وهو جمود الأفكار وجمود التقاليد، وأحيوا ما هو أخمدُ من الموتى، وهو الشعوب التي قتلتها الأوهام وقتلها الطغيان.

✍ لقد شقيت البشرية في تاريخها كله حين قادها العُمْي الذين يلبسون أردية الفلاسفة والمفكرين والمشرعين والسياسيين على مدار القرون، ولم ترتفع إنسانيتها قط إلا في ظل الإسلام.

* يا له من دين لو أن له رجالاً:

* قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا**﴾ [الإسراء: ٩].

✍ الإسلام يهدي للتي هي أقوم، يشمل الهدى أقوامًا وأجيالاً بلا حدود من زمان أو مكان؛ ويشمل ما يهديهم إليه من كل منهج وكل طريق، وكل خير يهتدي إليه البشر في كل زمان ومكان.

يهدي للتي هي أقوم في عالم الضمير والشعور بالعقيدة الواضحة البسيطة التي لا تعقيد فيها ولا غموض، والتي تطلق الروح من أثقال الوهم والخرافة.

ويهدي للتي هي أقوم بين ظاهر الإنسان وباطنه، وبين مشاعره

وسلوكه، فإذا هو مشدود إلى العروة الوثقى التي لا تنفصم، يتطلع إلى أعلى وهو مستقر على الأرض.

يهدي للتي هي أقوم في علاقات الناس بعضهم ببعض أفرادًا وأزواجًا، وحكومات وشعوبًا.

✍ يهديهم للتي هي أقوم في نظام الحكم ونظام المال والنظام الاجتماعي وكل نظم الحياة.

* يا له من دين لو أن له رجالاً:

✍ الإسلام ربيع القلوب كما أن الغيث ربيع الأرض، وكما ينزل الماء من السماء، فينبت للناس به زرعًا مختلفًا ألوانه، كذلك نزل الإسلام إلى أهل الأرض تتلقّاه القلوب الحية، فتتفتح وتنسرح، وتتلقاه القلوب القاسية كما تتلقاه الصخرة القاسية التي لا حياة فيها ولا نداوة! واللَّه يشرح للإسلام قلوبًا يعلم منها الخير، فيصلها بنوره فتشرق به وتستضيء وكم يغرس الإسلام في هذه القلوب من أزاهيره: نداوة وبشاشة، وإشراقًا، واستنارة، وخشوعًا وخضوعًا وتبتلاً وشوقًا إلى الدار الآخرة واستسلامًا للَّه عز وجل.

✍ والقلوب القاسية المعرضة عن الإسلام يا لقساوتها وغلظتها وموتها وجفافها وعتمتها وظلامها. ومن أصدق من اللَّه قيلا؟ ﴿**فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأنعام: ١٢٥].

* وقال تعالى: ﴿**أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ**

فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الزمر: ٢٢].

* الإسلام يهدي إلى سبل السلام:

يا للإسلام من نور في القلب والنفس، نور للمسلم تشرق به كينونته فتشف وتخفّ وترف، ويشرق به كل شيء أمامه فيتضح ويتكشّف ويستقيم.

✍ ثقلة الطين في كيانه، وظلمة التراب، وكثافة اللحم والدم، وعرامة الشهوة والنزوة.. كل أولئك يشرق ويضيء ويتجلّى.. تخفّ الثقلة، وترق الكثافة وترف العرامة.

✍ واللبس والغبش في الرؤية.. والتأرجح والتردد في الخطوة، والحيرة والشرود في الاتجاه والطريق البهيم الذي لا معالم فيه.. كل أولئك يشرق ويضيء ويتجلّى.. يتضح الهدف ويستقيم الطريق إليه، وتستقيم النفس على الطريق.

✍ لقد رضي اللَّه الإسلام دينًا.. وهو يهدي من يتبع رضوانه سبل السلام.

إنه «السلام» هو ما يسكبه هذا الدين في الحياة كلها سلام يرف في حنايا السريرة، سلام يظلل الحياة.. سلام الفرد، وسلام الجماعة، وسلام العالم، وسلام الضمير، وسلام العقل، وسلام الجوارح.. سلام البيت والأسرة، وسلام المجتمع والأمة، وسلام البشر والإنسانية، السلام مع الحياة، والسلام مع الكون، سلام في الأرض وسلام مع السماء، والسلام مع اللَّه رب الكون والحياة.. السلام الذي لا تجده البشرية ـ ولم تجده يومًا ـ إلا في هذا الدين؛ وإلا في منهجه ونظامه وشريعته، ومجتمعه الذي يقوم على عقيدته وشريعته.

يهدي اللَّه بهـذا الدين، من يتبع رضوان اللَّه «سـبل السلام» سبل السلام كلها في هذه الجوانب جميعها.

✍ وأول ما يفيض هذا السلام على القـلب يفيض من صحة تصوره واعتقاده لربه، ونصاعة هذه العقيـدة.. إله واحد يتجه إليه المسلم وجهة واحدة يستقر علـيها قلبه؛ فلا تتفرق به السبل، ولا تـتعدد به القِبَل ولا يطارده إله من هنا وإله من هناك.

✍ إله قوي قادر قاهـر إذا اتجه إليه المسلم فقد اتجه إلـى القوة الحقة الوحيدة، فيأمن كل قوة زائفة ويطمئن ويستريح.

إله عادل في عدله ضمان من الظلم، وضمان من الهوى، وضمان من النجس.

* قال تعـالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

لا يدرك عمـق هذه الحقيقة كـما يدركها من ذاق سـبل الحرب.. حرب القلـق الناشئ من العـقائد المنحرفـة في أعماق الضمـير، وحرب القلق الناشئ مـن شرائع الجاهلية حرب في الضمائـر والمجتمعات قرونًا بعد قرون، حرب تحطم الأرواح والقلوب، وتحطم الأخلاق والسلوك.

✍ إننـا نعانـي من الويـلات؛ والإسلام مـنا قريـب.. نعانـي من الحروب وسلام الإسلام في متناول أيدينا لـو نشاء.. فأية صفقة خاسرة هذه التـي نستبدل فـيها الذي هو أدنـى بالذي هو خـير؟ ونشتري فـيها الضلالة بالهـدى؟ ونؤثر فيها الحرب على السـلام؟ أفلا نفيء إلى ظلال السلام وظلال الإسلام؟

وحسبنا مثل واحد من أرقى بلاد العالم كله وهو «السويد» حيث يخصّ الواحد من الدخل القومي ما يساوي خمسمائة جنية في العام[1]، وحيث يستحق كل فرد نصيبه في التأمين الصحي وإعانات المرض التي تصرف نقداً والعلاج المجاني في المستشفيات، والتعليم المجاني، وتقديم إعانات ملابس وقروض للطلبة المتفوقين، وحيث تقدم الدولة حوالي ثلاثمائة جنيه إعانة زواج لتأثيث البيوت.. وحيث وحيث ذلك الرخاء المادي العجيب، ولكن ماذا وراء هذا والقلوب خالية من الإيمان باللَّه.

إنه شعب مهدد بالانقراض، فالنسل في تناقص مطرد بسبب فوضى الاختلاط، والطلاق بمعدل طلاق واحد لكل ست زيجات، وإدمان للمخدرات والمسكرات، ثم الانتحار، والحال كهذا في أمريكا.. والحال أشنع من هذا في روسيا.

إنها الشقوة المنكدة المكتوبة على كل قلب يخلو من بشاشة الإيمان وطمأنينة العقيدة، فلا يذوق طعم السلم ولا ينعم بالأمن والظل والراحة والقرار. واللَّه عز وجل يُخرج الناس بالإسلام من ظلمات الشبهات والخرافات والأساطير والتصورات والشهوات والنزعات والاندفاعات في التيه، وظلمة الحيرة والقلق والانقطاع عن الهدى والوحشة من الجناب الآمن المأنوس، وظلمة اضطراب القيم وتخلخل الأحكام والموازين بعيداً عن طريق اللَّه ودين اللَّه المستقيم مع فطرة النفس وفطرة الكون، المستقيم إلى اللَّه لا يلتوي ولا تلتبس فيه الحقائق والاتجاهات والغايات.

---

(١) هذا في الثمانينات.

* يا له من دين لو أن له رجالاً:

الإسلام هازم كل طاغوت، ومحطم كل صنم، أورق به كل غصن يابس وأزهر وأثمر.

✍ مُربّي الصديق والفاروق..

جرعة من كأسه أروت العقل والقلب: أذان بدر واليرموك، وجرس سورة الصافات، وسيف صلاح الدين، ونظرة الفضيل مفتاح كنوز الدنيا.. غيض من فيضه، القادسية وعين جالوت وحطين نفحة من نفحاته، وومضة من أنواره وبركاته.

به صُنع ركب الرجال العظام على مدار التاريخ.. فانظر إلى ركب المؤمنين الأبرار الأحرار، كيف شقّوا طريق المجد في علو وجمال، وتطلّعت إليهم من فتحات الأبواب أسرى القرون والأجيال.

* الإسلام هو المفتاح الفذ لأقفال الحياة:

▣ يقول الداعية الإسلامي أبو الحسن الندوي في حديث بينه وبين نفسه عند غار حراء في مكة المكرمة:

«لقد كانت الحياة كلها أقفالاً مُعَقدة، وأبوابًا مقفلة، كان العقل مقفلاً أعيا فتحه الحكماء والفلاسفة، كان الضمير مقفلاً أعيا فتحه الوعّاظ والمرشدين، كانت القلوب مقفلة أعيا فتحها الحوادث والآيات، كانت المواهب مقفلة أعيا فتحها العلماء والمعلمين، كانت المحكمة مقفلة أعيا فتحها المتظلّمين والمتحاكمين، كانت الأُسْرة مقفلة أعيا فتحها المصلحين والمفكرين، كان قصر الإمارة مقفلاً أعيا فتحه الشعب المظلوم والفلاح المجهود والعامل المنهوك، وكانت كنوز الأغنياء والأمراء مقفلة،

أعيا فتحها جوع الفقراء وعري النساء وعويل الرُّضعاء، لقد حاول المصلحون الكبار والمشرّعون العظام فتح قفل من هذه الأقفال ففشلوا وأخفقوا، فإن القفل لا يُفتح بغير مفتاحه، وقد ضيّعوا المفتاح من قرون كثيرة، وجرّبوا مفاتيح من صناعتهم ومعادنهم، فإذا هي لا توافق الأقفال، وإذا هي لا تُغني عنهم شيئًا، وحاول بعضهم كسر هذه الأقفال فجرحوا أيديهم وكسروا آلتهم.

ففي هذا المكان المتواضع، المنقطع عن العالم المتمدن، على جبل ليس بمخصّب ولا بشامخ. تم ما لم يتم في عواصم العالم الكبيرة ومدارسه الفخمة ومكتباته الضخمة. وهنا منّ اللَّه على العالم برسالة محمد ﷺ، وفي رسالته عاد هذا المفتاح المفقود إلى الإنسانية، ذلك المفتاح هو «الإيمان باللَّه والرسول واليوم الآخر» ففتح به هذه الأبواب المقفلة بابًا بابًا.

✍ وُضِع هذا المفتاح النبوي على العقل الملتوي فتفتّح ونشط واستطاع أن ينتفع بآيات اللَّه في الآفاق والأنفس، ويتوصّل مع العالم إلى فاطره، ومن الكثرة إلى الوحدة، ويعرف شناعة الشرك والوثنية والخرافات والأوهام، وكان قبل ذلك محاميًا مأجورًا يُدافع عن كل قضية حقًّا وباطلاً.

✍ وُضع هذا المفتاح على الضمير الإنساني النائم فانتبه، وعلى الشعور الميّت فانتعش وعاش، وتحوّلت النفس الأمارة بالسوء مطمئنة لا تسيغ الباطل ولا تتحمّل الإثم حتى يعترف الجاني أمام الرسول بجريمته ويُلحّ على العقاب الأليم الشديد، وترجع المرأة المذنبة إلى البادية حيث لا رقابة عليها، ثم تحضر إلى المدينة وتُعرِّض نفسها للعقوبة التي هي أشد من القتل..

ويحمل الجندي الفقير تاج كسرى ويُخفيه في لباسه ليستر صلاحه وأمانته عن أعين الناس ويدفعه إلى الأمير؛ لأنه مال اللَّه الذي لا يجوز الخيانة فيه.

✍ كانت القلوب مقفلة لا تعتبر ولا تزدجر ولا ترق ولا تلين، فأصحبت خاشعة واعية تعتبر بالحوادث وتنتفع بالآيات، وترقّ للمظلوم وتحنو على الضعيف.

✍ وُضع هذا المفتاح على القُوى المخنوقة والمواهب الضائعة فاشتعلت كاللهيب وتدفقت كالسيل، واتجهت الاتجاه الصحيح، فكان راعي الإبل راعي الأمم، وخليفة يحكم العالم، وأصبح فارس قبيلة وبلد، قاهر الدول وفاتح الشعوب العريقة في القوة والمجد.

✍ وُضع المفتاح على المدرسة المقفلة، وقد هجرها المُعلِّمون وزهد فيها المتعلمون، وسقطت قيمة العلم وهان المعلِّم، فذكر من شرف العلم وفضل العلم والمتعلِّم والمربِّي والمعلِّم، وقرن الدين بالعلم حتى كانت له دولة ونَفاق، وأصبح كل مسجد وكل بيت من بيوت المسلمين مدرسة.

✍ وضعه على المحكمة كل عالِم قاضيًا عادلاً، وكل حاكم مسلم حكمًا مقسطًا، وأصبح المسلمون قوّامين للَّه شهداء بالقسط، ووُجد الإيمان باللَّه وبيوم الدين فكثر العدل وقلّ الجدل، وفُقدت شهادة الزور والحكم بالجور.

✍ وضعه على الأسرة المقفلة وقد فشا فيها التطفيف بين الوالد وولده، والأخ وإخوته، والرجل وزوجته، وتعدّى من الأسرة إلى المجتمع فظهر بين السيد وخادمه، والرئيس والمرؤوس والكبير والصغير،

كل يريد أن يأخذ ما له ولا يدفع ما عليه، وأصبحوا مطففين إذا اكتالوا على الناس يستوفون، وإذا كالوهم أو وزنوهم يُخسرون، فغرس في الأسرة الإيمان وحذّرها من عقاب اللَّه، وهكذا أوجد أسرة عادلة متحابة مستقيمة ومجتمعًا عادلاً، وأوجد في أعضائه شعورًا عميقًا بالأمانة وخوفًا شديدًا من الآخرة حتى تورّع الأمراء وولاة الأمور، وتقشّفوا، وأصبح سيد القوم خادمهم، ووالي الأمة كوليّ اليتيم، إن استغنى استعفّ، وإن افتقر أكل بالمعروف.

وأقبل إلى الأغنياء والتجار فزّهدهم في الدنيا ورغبهم في الآخرة، وأضاف الأموال إلى اللَّه.

أبرز رسول اللَّه ﷺ برسالته ودعوته الفرد الصالح المؤمن باللَّه، الخائف من عقاب اللَّه، الخاشع الأمين، المؤثر للآخرة على الدنيا، المستهين بالمادة المتغلِّب عليها بإيمانه وقوته الروحية، يُؤمن بأن الدنيا خُلقت له وأنه خُلق للآخرة، فإذا كان هذا الفرد تاجرًا فهو التاجر الصدوق الأمين، وإذا كان فقيرًا فهو الرجل الشريف الكادح، وإذا كان عاملاً فهو العامل المجتهد الناصح، وإذا كان غنيًّا فهو الغني السخيّ المواسي، وإذا كان قاضيًا فهو القاضي العادل الفهم، وإذا كان واليًا فهو الوالي المخلص الأمين، وإذا كان سيدًا رئيسًا فهو الرئيس المتواضع الرحيم، وإذا كان خادمًا أو أجيرًا فهو الرجل القويّ الأمين، وإذا كان أمينًا للأموال العامة فهو الخازن الحافظ العليم.

وعلى هذه اللبنات قام المجتمع الإسلامي وتأسست الحكومة الإسلامية في بدورها، ولم يكن المجتمع والحكومة إلا صورة مكبَّرة لأخلاق الأفراد ونفسيتهم، فكان المجتمع مجتمعًا صالحًا أمينًا مؤثرًا

للآخرة على الدنيا، متغلّبًا على المادة غير محكوم لها، انتقل إليه صدق التاجر وأمانته، وتعفّف الفقير وكدحه، واجتهاد العالم ونصحه، وسخاوة الغني ومواساته، وعدل القاضي وحكمته، وإخلاص الوالي وأمانته وتواضع الرئيس ورحمته، وقوة الخادم، وحراسة الخازن، وكانت هذه الحكومة راشدة ومؤثرة للمبادئ على المنافع، والهداية على الجباية، وبتأثير هذا المجتمع وبنفوذ هذه الحكومة وُجدت حياة عامة، كلها إيمان وعمل صالح، وصدق وإخلاص، وجدّ واجتهاد، وعدل في الأخذ والعطاء، وإنصاف النفس مع الغير.

وحانتْ مني التفاتة إلى هذا العصر الذي نعيش فيه فقلت: إني لأرى أقفالاً جديدة على أبواب الحياة الإنسانية، وقد قطعت الحياة مراحل طويلة وخطت خطوات واسعة، وتعقدت الحياة والتوت، وتطوّرت المسائل وتنوّعت، وتساءلتُ: هل يُمكن فتح هذه الأقفال الجديدة بذلك المفتاح العتيق؟ وأبيْت أن أحكم بشيء، قبل أن أختبر هذه الأقفال وأضع عليها المفتاح، ولمست هذه الأقفال بالبنان، فإذا هي الأقفال القديمة بتلوين جديد، وإذا المشاكل نفس مشاكل العصر القديم، وإذا المشكلة الكبرى وأساس الأزمة هو الفرد الذي لا يزال لبنة المجتمع وأساس الحكومة، ووجدت أن هذا الفرد قد أصبح اليوم لا يؤمن إلا بالمادة والقوة، ولا يُعنى إلا بلذاته وشهواته، يُبالغ في تقدير هذه الحياة، ويُسرف في عبادة اللذات وإرضاء الشهوات، قد انقطعت الصلة بينه وبين ربه ورسالة الأنبياء وعقيدة الآخرة، فكان هذا الفرد هو مصدر شقاء هذه المدنية.

لقد أفلس الجميع في الروح، وتخلّوْا عن الإيمان، وفقدوا كل ما

يُغذّي القلب ويغرس الإحسان، ولا صلاح إلا في الدين الذي ارتضاه خالق البشر ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

لا أمل في صلاح العالم إلا بالإسلام وبمنهج الإسلام وفق تصور الإسلام.

✍ إننا على يقين جازم أن المسلمين في الغد لن يستجيبوا إلا لنداء الإسلام، ولن يصلحوا إلا به، ولن يتفاعلوا إلا معه.. سيعلو نداء الإسلام ويرتفع ويقوى ويشتد، ألا بارك اللَّه في الحناجر المؤمنة التي تطلق نداء الإسلام، والأصوات المباركة التي ترتفع بنداء الإسلام، والآذان الواعية التي تسمع نداء الإسلام، والقلوب الحيّة التي تتفاعل بنداء الإيمان، والحياة الكريمة التي تزكو وتطهر بنداء الإسلام، وصدق اللَّه العظيم إذ يقول: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

◻ ولله در القائل:

أنا مسلم أنا مسلم ... هذا نشيدي الملهم
من أعمق الأعماق ... أبعث لحنه يترنَّمُ
روحي تردّده وقلبي ... والجوارح.. والدم
شوقًا وتحنانًا ... لأمجادٍ لنا تتكلّمُ
أنا مسلم أنا مسلم ... بالرغم ممن يحقدون
أنا ها هنا بشريعتي ... في موكب الحق المبين
أنا لست رجعيًّا ... ولكن قائد المتقدمين
وزعيم كل حضارة ... جاءت على مرّ السنين